

صلاح قبضايا



دار
أخبار اليوم
قطاع الثقافة

كتاب اليوم

يصدر
أول كل شهر

□ عدد أكتوبر ١٩٩٨ □

أسعار كتاب اليوم فى الخارج

الجماهيرية العظمى	٢	دينار
المغرب	٢٠	درهما
لبنان	٤٥٠٠	ليرة
الأردن	٢٠٠٠	فلس
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	١,٥	دينار
السعودية	١٢	ريالاً
السودان	٣٢٠٠	قرش
تونس	٢	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتا
سوريا	١٢٥	ل. س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١,٢٥٠	دينار
سلطنة عمان	١,٢٥٠	ريال
غزة	٢,٥٠	دولار
ج. اليمنية	١٥٠	ريالاً
الصومال، نيجيريا	٨٠	بنى
السنغال	٦٠	فرنكا
الإمارات	١٢	درهما
قطر	١٢	ريالا
انجلترا	٢	جك
فرنسا	١٠	فرنكات
ألمانيا	١٠	ماركات
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٢٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنكات
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلنا
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	كرون
الهند	٣٥٠	روبية
كندا - أمريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك - واشنطن	٢٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٦٠ جنيها مصريا

● البريد الجوى ●

دول اتحاد البريد العربى ٢٩ دولارا

اتحاد البريد الافريقى ٣٤ دولارا

أوربا وأمريكا ٣٩ دولارا

أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا

٤٩ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (أ) ش الصحافة

القاهرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

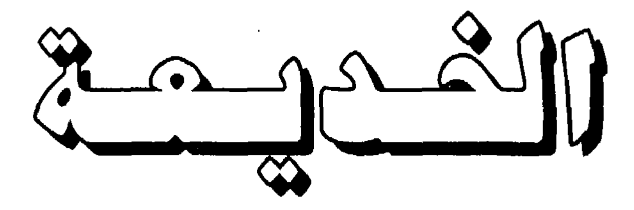
● فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠

● تلكس دولى : ٢٠٣٢١٠

● تلكس محلى : ٢٨٢

● قطاع الثقافة ٦ ش الصحافة

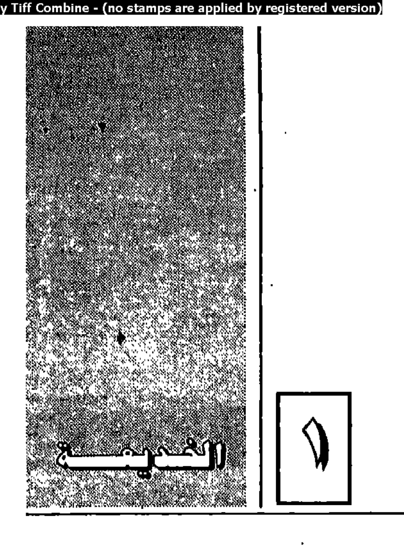
● تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠





صلاح قبضايا





١

خطة عبور المستحيلات الثلاثة

١ ـ جبهة طولها ١٧٥ كيلومترا ومانع مائى بعرض ٢٠٠ متر مغطى باللهب العائم

٢ ـ ساتر ترابى على حافة القناة بارتفاع ٢٥ مترا وزاوية ميل ٤٥ درجة

٣ ـ اقتحام ٢٢ موقعا حصينا و٣١ نقطة مبطنة بألواح الصلب ومحاطة بالألغام

• الاسترخاء العسكرى فى إسرائيل بدأ بقرار مصر الاستغناء عن الخبراء

• دورية مصرية تتسلل إلى مواقع العدو للحصول على حفنة من التراب



قبل أن تكتـمل الساعة السـابعة من مسـاء الأحد ١٦ يوليـة ١٩٧٢ بتـوقـيـت القـاهرة دقت أجـراس أجهزة وكالات الأنباء «التيكرز» داخل قاعات التحرير فى كل صحيـفة وإذاعة ومحطة تليـفزيون لتنقل الى العـالم كلـه ـ وبجـمـيع اللغـات ـ قـرار الحكومـة المصـرية الاستـغناء عن الخبـراء السوفيت الذين يعـملون داخل وحدات القوات المسلحة المصرية.

واخـتلفت ردود الأفـعـال في كل مكان.. لكن رد الفـعل داخل اسـرائيل كان يتـخـذ مسـارا آخر. وقـدمت البـرامج السيـاسيـة والاخبارية فى إذاعـة وتليفزيون اسرائيل عدة أحـاديث وتعليقات وندوات حول هذا الحدث المفاجىء الذى لم يكن هناك من يتوقعه.

وفى القناة الأولـى للتليـفـزيون الاسـرائـيلى أدارت «راحـيل هيرتزوج» المذيعـة ومعدة البرامج السياسـية ندوة طويلة شارك فيهـا كبار الصحـفيين الاسرائيليـين وعدد من السياسـيين الذين يعارضون الحكومة الاسرائيلية ومنهم أحد قيادات حزب «الرافى» ومعه المعلق السياسى شاريت ايتان.

واختـلفت الآراء والتعليـقات فى هذه الندوة الـسيـاسيـة. كان

بعـضـهم يرى ان قـرار الاسـتغناء عـن الخبـراء السـوفيت يؤكـد اتجاهات مصر نحو التسـوية السلمية دون حرب وانها تعمل على تشـجيع الرئيس الأمـريكى للقيـام بدور أكبـر من أجل التسـوية السلمـيـة. واعـتـبـر أحد الـمحـللين ان هذا الاجـراء هو نوع من الترضية للعناصر العـسكرية فى مصر التى ضجت بالشكوى من السوفـيت ولا تجد لـوجودهم أى جدوى، وان هـذا التيار يـتزايد ويتزعـمه وزير الحـربية نفـسه ـ الجنرال مـحمـد صادق ـ الذى لا يخفى عداءه للسوفيت ويشكك فى نواياهم ويجاهر بذلك.

كان هذا هو رأى بعض المحللين..

فى حين كان أحد رؤساء تحـرير الصحف الاسـرائيلية يرى ان الاستـغناء عن الخـبراء السـوفيت أصـبح أمراً ضروريـاً لارضاء بعض الدول العـربية التى تقـدم المسـاعدات والقـروض لمـصر وتخشى من وجود عناصر شيوعية فوق الأرض المصرية.

وفى هـــــذه النـدوة قـال أحـــد قـــادة أحـزاب اليـمـين الاســرائيلى « آلن جولدمــان » : إنه يرى فى قـرار الاستـغناء عن الخبراء السوفيت مجرد قرار سياسى دعائى للاستهلاك المحدود وانه لن ينعكس كثيراً على مجالات التعاون المصرى ـ السوفيتى، وان هذا التعاون سيـستمر حتى بعد عودة الخـبراء السوفيت الى بلادهم.

وعارض صاحب هذا الرأى باقى المشاركين فى ندوة «راحيل» وما أجمـعوا عليه من أن مـصر وسائر الدول العربيـة لا تستطيع خوض حـرب جديدة فى مـواجهة الخطوط الدفـاعية الـقوية التى

أقامتها اسرائيل والتى اشتهرت باسم خط بارليف.. نسبة إلى الجنرال حاييم بارليف صاحب الفكرة والمخطط الأصلى لبناء خط دفاعى ثابت على ضفة القناة الشرقية.

وقال جولدمان : إنه لا يجب على زعماء اسرائيل أن يصدقوا ويكرروا الكلمات التى يتشدق بها العسكريون الاسرائيليون الذين لجأوا إلى الراحة والاطمئنان والترهل وبدأوا يبحثون عن تعويض لحياة التقشف التى عاشوها من قبل. ولذلك خصصوا لأنفسهم السيارات الفارهة ودخنوا السيجار الفاخر واتجهوا إلى جمع المقتنيات والقطع الأثرية وغرقوا فى قصص الحب والغرام.

وكان من الواضح أن المتحدث يقصد بهذا الكلام ـ تحديداً ـ الجنرال موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى الذى كان قد انفصل عن زوجته ـ السيدة روت شوارتس ـ منذ شهور قليلة ليعيش مع فتاة أخرى وعدها بالزواج، ومعروف عنه هواية جمع الآثار و التنقيب عنها.

وهذا ما دفع المذيعة راحيل إلى التدخل لتوجه الحديث وجهة أخرى وتطرح سؤالاً عن إمكانيات العرب العسكرية وهل سيضطر العرب إلى الموافقة على شروط السلام الإسرائيلية.

واندفع المتحدث نفسه ليقاطع الآخرين وليؤكد استحالة بقاء التفوق العسكرى الإسرائيلى إلى الأبد بين مائة مليون عربى مقابل ثلاثة ملايين إسرائيلى. وقابل بسخرية بالغة آراء الذين اعتبروا خروج الخبراء السوفيت بمثابة تأكيد على عدم قدرة العرب على القتال.

ومـصـداقـيـة هذا الكلام كـانت تنعكس فى تلك الـلحظة على ما يجرى بسرية تامـة على الجانب الآخر من أرض الصراع.. على الجانب الغربى من قناة السويس.

كانت سـيارة صغيـرة من طراز «فيات» تتـجه إلى باب معـهد تحليل التربة فى القاهرة وبداخلها الرائد فاروق فى ملابس مدنية متجها إلى مكتب المدير بناءً على موعد سبق تحديده منذ ساعات. وكانت بجواره حقـيبة جلدية سوداء من حقائب السفـر الصغيرة حرص على حملها بنفسه إلى مكتب المدير.

وفوق طاولة الاجتماعـات فى مكتب الدكتور حسنى فتح الرائد فاروق الحقيبة بعناية بالغة ليخرج منها خمسة أكياس صغيرة من الخيش مليئة بالرمال.

وفى كلمات قليلة واضحـة شرح الرائد فاروق المطلوب، وقدم خطاباً موجهاً من مـحافظة البحيرة إلى معـهد تحليل التربة تطلب فيـه المحافظـة إجراء فحص كـامل وتحليل لهذه الرمـال وتحديد مكوناتها بدقـة ومدى تأثرها بالأثقـال مع اختلاف كـثافتـها وأثر المتفجرات عليها.

وكان من الطبـيعى أن يثير ذلك حب الاستطـلاع لدى الدكتور حسنى. ولم يترك الرائد فاروق الأمر للخيال والاستنتاج وأكد انه سيشرح سر هذه المهمة. إن قوات الدفاع الجوى تستخدم سواتر ترابيـة من هذه الرمـال وتريـد أن تدرس مـدى تأثرها بـنيـران الطائرات المعادية وبأنواع الطلقات والقنابل والعـمليات التخريبية. وأكد المتـحدث ثقة القوات المـسلحة فى الدكتور حـسنى ورجاله

وقدرتهم على حفظ هذا السر الخطير..

وكان ذلك أقوى دافع لوحدة أبحاث التربة على التحمس لهذا العمل الوطنى الكبير. ولم يتأخر مدير الوحدة لحظة واحدة وانطلق إلى داخل المعامل ليقوم بتوزيع عينات الرمال على الباحثين ويكلف كلا منهم بتحليل العينة وتحديد مكوناتها تمهيداً للوقوف بدقة على مدى تأثرها بالمواد الكيماوية وبالطلقات والمتفجرات المختلفة مع تغيير درجات كثافتها.

ولم يكن الدكتور حسنى ـ ولا أحد من رجاله ـ يعرف أن هذه الأتربة هى عينات من الساتر الترابى الذى أقامته إسرائيل على الضفة الشرقية لقناة السويس أمام نقاطها الحصينة فى خط بارليف لتعوق تقدم أى قوات مصرية تحاول عبور القناة.

وأيضاً.. لم يكن أحد منهم يعرف أن هذه العينات قد عادت بها دوريات الاستطلاع المصرية بعد منتصف ليلة الأمس من شرق القناة وأن عينات أخرى مماثلة تم إرسالها إلى المعامل المركزية للقوات المسلحة وإلى معامل الكلية الفنية العسكرية لتتم فيها نفس عمليات تحديد المكونات وتحليلها ودراسة مدى تأثير النيران والمواد الكيماوية عليها.

وكل من شارك فى ذلك كان يتصور أنه يقوم بتحليل عينات الأتربة التى تستخدمها قوات الدفاع الجوى المصرى فى عمل سواتر ترابية.. ولم يخطر ببال أحدهم انها جاءت من شرق القناة. وربما كان ذلك هو تصور الرائد فاروق أيضا..

لكن هيئة العمليات كانت وحدها تعرف الحقيقة. وهذا ما دارت

المناقشات حوله ضمن عشرات النقاط الأخرى التى تضمنها جدول أعمال فرع التخطيط بهيئة العمليات عند اجتماعها فى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة بمدينة نصر فى هيئة حلقة بحث يرأسها اللواء محمد عبدالغنى الجمسى رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة، وحضرها سبعة ضباط هم أعضاء فرع التخطيط بهيئة العمليات ورتبهم بين مقدم وعميد.

.. وقف اللواء الجمسى أمام خريطة قناة السويس وبدأ فى شرح الموقف كما يبدو طبقاً لآخر استطلاع تم منذ ١٢ ساعة. ولم تكن كل هذه المعلومات جديدة ولكنها كانت تتكامل لتجسد صورة الموقف على الجبهة.

إن عبور الموانع المائية كان دائماً أشق العمليات العسكرية وأعقدها وأكثرها فداحة فى الخسائر. وهناك جيوش حاولت عبور الموانع المائية قديماً وحديثاً ففشلت وأصابتها الكوارث. والبعض يرى أن الموانع المائية قلت قيمتها بفضل تطور أسلحة القتال وظهور المركبات والدبابات المائية. لكن قناة السويس مانع فريد يختلف عن باقى الأنهار والمسالك المائية الأخرى لعدة أسباب:

- يتراوح عرض القناة ما بين ١٨٠ و٢٢٠ متراً وطولها يصل إلى ١٧٥ كيلو مترا ويتراوح عمقها ما بين ١٦ و١٨ متراً وينخفض سطح المياه عن حافة الشاطىء بحوالى مترين. وبذلك لا يمكن عبور القناة بالمعدات التقليدية لا عوماً ولا خوضاً ولا سيراً على القاع.

- يحد القناة شاطىء شديد الانحدار مغطى بستائر أسمنتية

وحديدية تمنع نزول وصعـود المركبات المائية إلا بعـد تجهيزات هندسية مسـبقة. وهى صفة تنفرد بها قنـاة السويس عن مختلف قنوات وأنهار العالم باستثناء قناة واحدة هى قناة بنما.

ـ تتعرض القناة لظاهرة المد والجزر فـيختلف منسوب المياه تبعـاً لارتفاعها واتـخفاضـهـا عدة مرات فى اليوم الواحد. ويبلغ فارق المنسوب بين أعلى مد وأدنى جزر حوالى ٦٠ سنتيمتراً فى شمال القناة بينما يزيد هذا الفـارق كلما اتجهنا جنوباً حتى يصل إلى المترين قرب مدينة السويس. ولمثل هذه الظاهرة أثرها الكبير على تخطيط العـبور والأعمـال الفنية الخـاصة بإقـامة المـعديات وإنشاء الكبارى.

ـ هناك عامـــل مهم له تأثـــيره على العـــبور وهو ســـرعة التيار واتجـاهه لأن القناة تتمـــيز بشـــدة التيـار وســـرعته التى تبدأ من ١٨ مـتراً فى الدقيـقة بالقطاع الشـمالى وتصل إلى ٩٠ متـراً فى الدقيـقة فى القطاع الجـنوبى. وفضلاً عـن ذلك فإن اتجاه التيار يتغيـر دورياً كل ست ساعات من الشمال إلى الجنوب والعكس.

ويوجد على الضفة الشرقية للقناة ساتر ترابى من ناتج حفرها وتطهيرها يتـراوح ارتفاعه من ستة إلى عشـرة أمتار. وقد أوحى هذا السـاتر الترابى للعدو أن يستغله فى إقامة خط دفاعى محصن على امتـداد القناة، فقام بتـعليته حتـى وصل فى بعض القطاعات إلى ٢٥ متراً ارتفاعاً.

وفى جوف هذا الـساتر الترابى الكـبير أقـام العدو عـدة نقاط

حصينة بذل فى بنائها جهداً ضخماً وأموالاً وفيرة واستخلص الخبرات المكتسبة من مسارح الحرب المعاصرة فى علوم التحصينات والموانع وفنونها وطبقها على خط بارليف.

وأراد العدو أن يجعل من المانع المائى الفريد الذى تشكله قناة السويس سداً منيعاً يحول بين جيش مصر وأرض مصر فى سيناء، فلم يكتف برفع الساتر الترابى رأسياً بل قام بإزاحته غرباً حتى لامس حافة القناة تماماً بزاوية ميل تزيد على ٤٥ درجة ليضع أمام المقاتل المصرى مزيداً من العقبات وينمى في وجدانه شعوراً بالعجز واليأس.

وأقام داخل هذا الساتر وفوق قمته وإلى الخلف منه عدة خطوط دفاعية محصنة تشكل فى مجموعها منطقة دفاعية من أقوى المناطق الدفاعية التى عرفها التاريخ.

وقد أطلق اسم «خط بارليف» على الخط الأول منها والذى تكلف انشاؤه ٢٣٨ مليون دولار أى ما يقرب من نصف تكاليف السد العالى.

ويتكون خط بارليف من ٢٢ موقعاً حصيناً تضم ٣١ نقطة قوية تبلغ مساحة كل نقطة منها حوالى ٤٠٠٠ متر مربع أو أكثر وهى عبارة عن منشأة هندسية معقدة تتكون من عدة طوابق تغوص فى باطن الأرض وتعلو حتى تصل إلى قمة الساتر الترابى.

ويتكون الطابق الواحد من عدة دشم من الأسمنت المسلح المقوى بالقضبان الحديدية وألواح الصلب ويفصل كل طابق عن

الآخر طبقة من القضبان الحديدية والخرسانة المسلحة والأتربة والأحجار ويبلغ سمك هذه الطبقة مترين.

وجهزت كل دشمة بعدة فتحات تمكنها من الاشتباك في جميع الاتجاهات، فضلاً عن دشم أخرى مجهزة لأسلحة المدفعية والدبابات. وتتصل جميع هذه التجهيزات ببعضها البعض عن طريق خنادق مواصلات عميقة مبطنة بألواح الصلب وشكائر الرمل. ووفرت هذه التحصينات والأعمال الهندسية المختلفة وقاية للنقاط القوية ضد القنابل الثقيلة حتى ألف رطل أو أكثر.

ولزيادة مناعة النقاط الحصينة أحاطها العدو بنطاقات كثيفة من الأسلاك الشائكة وحقول الألغام المضادة للدبابات والأفراد والتي بلغ عمقها حوالي ٢٠٠ متر بالإضافة إلى الشراك الخداعية التي تغطي ميول الساتر الترابي وقمته، كما جهز العدو بعض النقاط بخزانات الوقود ومواد النفط وسائل النابالم، وتخرج منها مواسير إلى القناة ليتسرب خلالها الوقود طبقاً لنظرية الأواني المستطرقة فتغطي سطح القناة. وعندما تشتعل هذه السوائل تتحول مياه القناة إلى مسطح هائل من اللهب ترتفع ألسنته الحارقة لحوالي المتر وتزيد درجة حرارته على ٥٠٠ درجة مئوية.

وحرص العدو في اختيار مواقع هذه النقاط الحصينة على أن تغطي الاتجاهات الصالحة لعبور القناة وتعوق تقدم قوات العبور إلى عمق سيناء. وتتبادل كل النقاط الحصينة فيما بينها المعاونة بالنيران، لتخلق بالإضافة إلى السد الترابي وحاجز اللهب

المشتعل سـداً آخر من نيران الأسلحة المتوسطة والثـقيلة خاصة بعد أن جهز العدو عدة مواقع لدباباته فوق الساتر الترابى بفاصل ١٠٠ متر على طول قناة السويس.

واستطرد اللواء الجمسى قائلا :

.. بذلك نرى أن قناة السـويس وخط بارليف ليس مـجـرد مانع حصين فـحسب بل هو مانع فريد ليس له مـثيل فى العالم وليس هناك خبرة سابقة فى التاريخ العسكرى لعبور مثله. وهذا ما دفع الجنرال ديفـيد اليـعازر رئيس أركـان الجيش الإسـرائيلى إلى أن يقول: إن خط بارليف سيكون مقبرة للجيش المصرى.

وانتهى المـؤتمر الذى ترك آثاره السلبـية على بعض الضـباط لكنه لم يقتل روح التـحدى داخلهم. وكان لكلمات اللواء الـجمسى أثرها فى تخفيـف الآثار النفسية عند الرجال عنـدما قال لهم انهم جميعا مكلفون بوضع حلول عمليـة لمواجهة هذه المعضلات التى تجعل من العبـور أمراً مستحيلاً. وباخـتصـار مطلوب منا الآن ان نجعل عبـور قواتنا المسلحة لـهذا المانع المائى والاسـتيلاء على النقاط الحصـينة لخط بارليف أمراً ممكناً ومـستطاعاً بدلاً من أن يظل مستحيلاً.

وتم تكليف مـجمـوعات الخـداع الاسـتراتيـجى بوضع خطط التعمية والخداع بحيث يرسخ لدى العدو استحالة تفكير مصر فى الحل العـسكرى. كما أن أجـهزة الدولة الأخـرى ستـقوم بأعـمال المساندة المطلوبة بما فى ذلك شركات المقاولات المدنية.

وتم تلخيص المشاكل الأساسية التى تواجه العبور فى خمس نقاط رئيسية :

أولاً : طرق دفع القوات إلي الممر المائى ووسائل عبوره، رغم وجود هذه المعوقات على ضفتى القناة ، بما فى ذلك الساتر الترابى الهائل شرق القناة.

ثانياً : وسائل اخماد النيران فوق سطح مياه القناة أو منع تسربها دون أن يشعر العدو بمحاولات تخريبها.

ثالثاً : مفاجأة العدو بعبور المجموعات الأولى من القوات وتأمينها ضد نيران العدو بمدفعيته ودباباته ورشاشاته.

رابعاً : كيفية ارتقاء الساتر الترابى الذى يبلغ ارتفاعه عشرين متراً.

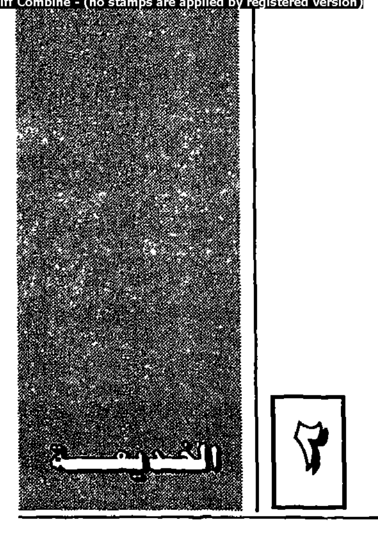
خامساً : توفير أسباب نجاح قوات العبور المترجلة فى مواجهة دبابات العدو وعرباته المدرعة.

وأخيراً .. وبعد أن نصل إلى حلول ممكنة وحاسمة لهذه المعضلات يصبح أمام سائر الوحدات المقاتلة التدريب عملياً على الدور الذى تكلف به كل وحدة بصورة تبدو طبيعية ودون أن تلفت نظر العدو أو تقلل من فرصة خداعه وتحقيق المفاجأة الكاملة له.

وانتهى المؤتمر.. لكن مئات الرجال انطلقوا فى دراسة هذه المشاكل الهائلة التى تواجه فكرة العبور.. أو فكرة الحرب من أساسها.. وكان شعارهم هو كلمات مدير العمليات التى أنهى بها

اجتـماعهم.. «لابد أن نجـد الحلول.. ولابد أن ننجح.. ولا بديل عن الحرب».

وهذا مـا تردد بعد ذلك فى اجـتمـاع إعـضـاء المـجلس الأعلى للقوات المسلحة فى مبنى القيـادة العامة ، قبل أن ينتقلوا إلى بيت الرئيس أنور السـادات فى الجـيزة حـيث تولى رئاسـة المـجلس باعتباره القائد الأعلى للقوات المسلحة..



٢

البحث عن قنبلة ذرية

- عجلة الحرب بدأت في الدوران من بيت السادات في الجميزة
- كبار الضباط الذين عارضوا السادات وتآمروا عليه لمنع الحرب
- الخطة "بدر" تعتمد على الإمكانيات المتاحة وليس على الإمكانيات المطلوبة
- الجاسوسة الأمريكية في القاهرة ساهمت في خداع إسرائيل



المكان : منزل الرئيس أنور السادات المطل على نيل الجيزة بين كوبرى الجلاء وكوبرى الجامعة..

الزمـــان : الساعة الثامنة والنصف مساء يوم الثلاثاء ٢٤ اكتوبر ١٩٧٢ ويوافق إحدى ليالى شهر رمضان وبالتحديد ١٧ رمضان ١٣٩٢هـ.

كانت الأحداث تبدو كأنها زيارة رمضانية أو دعوة إلى سهرة رمضانية فى بيت الرئيس القائد الأعلى للقوات المسلحة وهذا يؤكده حضور المدعوين بملابسهم المدنية وكان بينهم من يضع ملابس ثقيلة تحوطاً لتقلبات الليل بعد أن بدأ شتاء القاهرة مبكراً.

لكن الوقائع كانت تختلف كل الاختلاف عما يبدو فى ظاهر الأمر. لقد كان الحاضرون هم أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة ورؤساء الأفرع الرئيسية ولم يكونوا مجرد زوار. وكان الرئيس السادات قد أصدر أمراً صباح اليوم نفسه باستدعائهم جميعاً لعقد اجتماع المجلس الأعلى فى بيته.

ضم الاجتماع الفريق أول محمد صادق (وزير الحربية) والفريق سعد الدين الشاذلى «رئيس أركان حرب القوات المسلحة» واللواء طيار محمد حسنى مبارك «قائد القوات الجوية»

واللواء بحرى محمود فهمى «قائد القوات البحرية» واللواء محمد عبدالغنى الجمسى «رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة وواحد من أبرز ضباط المدرعات» واللواء محمد محرز «مدير إدارة المخابرات الحربية» واللواء سعيد الماحى «قائد سلاح المدفعية» واللواء عبدالمنعم واصل «قائد الجيش الثالث الميدانى» واللواء على عبدالخبير «رئيس هيئة التدريب» واللواء نوال عامر «رئيس هيئة الامداد والتموين» واللواء سعد مأمون «قائد الجيش الثانى الميدانى».

وتولى اللواء الجمسى تسجيل وقائع الاجتماع الذى انعقد فى الصالون الكبير بالطابق الأرضى من منزل الرئيس.

ساد الصمت بين الجميع وكان البعض يستشعر خطورة هذا الاجتماع ، رغم انه يأتى بعد سلسلة متكررة من الاجتماعات المتتالية التى عقدها المجلس الأعلى للقوات المسلحة والمؤتمرات الأخرى التى رأسها وزير الحربية ، وكان آخرها صباح نفس اليوم عندما اتصل الرئيس بوزير الحربية ودعا إلى اجتماع المجلس الأعلى فى بيته.

وربما كان الصامتون يسترجعون ما دار فى الصباح أثناء «مؤتمر الوزير» أو يعدون الكلمات التى سيشاركون بها فى المناقشات وما أوحى به إليهم وزير الحربية صباحاً. لقد كانوا مجتمعين مع رئيس الأركان فى الساعة التاسعة صباحاً وهو المؤتمر المعتاد الذى يعقده رئيس الأركان مرة كل شهر. ولحظتها اتصل به الوزير وطلب عقد اجتماع بكل الحاضرين فى الساعة

الثانية عشرة ظهرا يحضره جميع أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة. وكان الهدف هو الاستماع لرأى القادة فى الموقف العسكرى قبل الاجتماع مع الرئيس السادات فى الثامنة والنصف مساءً.

وفى اجتماع الظهر بمكتب وزير الحربية تكلم الجميع. وتحدث كل عضو من أعضاء المجلس الأعلى عن المتاعب والمشكلات التى مازالت تواجهه.

وأنهى وزير الحربية الاجتماع قائلاً :

«كل ما أريده هو أن يقوم كل منكم بإعطاء صورة حقيقية عن الموقف ـ موقف قواته ـ أمام الرئيس هذا المساء . إن الرئيس يعتقد أننى أبالغ فى ذكر المشكلات ولذلك فإنه يريد أن يسمعها منكم شخصيا».

وهذا ما حدث بالفعل فى اجتماع الجيزة الذى بدأ فى الساعة التاسعة واستمر حتى منتصف الليل وشهد مناقشات ساخنة كادت تصل إلى حد المشادة فى وجود رئيس الجمهورية. ولم يكن أحد يتوقع أن يفقد بعض الحاضرين من كبار القادة منصبه نتيجة ما تكلم به أمام الرئيس.. كما لم يستشعر احد أن عجلة الحرب بدأ إعدادها للدوران فى هذا الاجتماع عندما أطل الرئيس على الحاضرين من الباب الذى يفصل بين الحجرة وبين البهو الواسع المواجه للمدخل الرئيسى للبيت.

تقدم الرئيس مبتسماً مرحباً وقد بدت عليه ملامح الإصرار. كان يمسك بالعصا فى يده اليسرى وقد ارتدى بذلة من الصوف

الرمادى الداكن. واتجه لاستقباله الفريق أول محمد صادق الذى لم يكن يدرى أن هذا هو آخر اجتماع يحضره مع الرئيس وأنه سيفقد منصبه بعد ساعات ليحل محله أحمد إسماعيل وزيراً للحربية.

صافح الرئيس الفريق أول محمد صادق ليمر على باقى الرجال يصافحهم مردداً اسم كل منهم مسبوقاً بعبارة: أهلا يافلان..

وجلس الرئيس فى صدر الصالون وقد بدأ حديثه عن سهولة الصوم فى أيام الشتاء ، وكيف أن النهار القصير جعل الإفطار فى الخامسة والربع ، وهو موعد يقترب من موعد غداء الضباط الذين يعودون إلى بيوتهم بعد الثالثة عصراً.

وكانت أكواب التمر هندى وقمر الدين تطوف على الجالسين عندما نظر الرئيس إلى سكرتيره الخاص فوزى عبدالحافظ قائلاً: خلاص يافوزى.

وأغلق فوزى الباب وراءه بعد أن انسحب السفرجى دون أن يحمل معه الأكواب الفارغة.

وتحولت الجلسة إلى اجتماع رسمى للمجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية برئاسة رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة الرئيس محمد أنور السادات. وقام اللواء محمد عبدالغنى الجمسى بكتابة محضر الاجتماع الذى جاء فى بدايته قول الرئيس السادات : باسم الله نبدأ جلسة المجلس الأعلى للقوات المسلحة.

وتحدث الرئيس فى البداية عن الموقف السياسى العام والعلاقات المصرية ـ السوفيتية قائلاً : نحن الآن أمام امتحان صعب .. أن نكون أو لا نكون .. وقالها الرئيس بالإنجليزية To Be Or not to Be لأن الجميع والعدو والصديق لا يثق بأننا سنقاتل ولذلك فإن الحلول التى تعرض علينا كلها من منطلق أننا لن نحارب.

ورحلاتى إلى الاتحاد السوفيتى فى مارس ٧١ وأكتوبر ٧١ وفبراير ٧٢ كانت بناءً على طلبى. لكن رحلتى فى أبريل ٧٢ كانت بناءً على طلب القيادة السياسية السوفيتية. وقلت لهم فى أبريل إن القضية لن تتحرك سياسياً إلا إذا أمكن تحريكها عسكرياً ، وأن إعداد الهند للحرب ضد باكستان استغرق منهم ستة أشهر. ويمكنهم أيضاً أن يفعلوا الأمر نفسه مع مصر. وعندما حضر المارشال جريشكو فى مايو أرسلت معه كتاباً إلى القيادة السياسية السوفيتية وأخبرتهم بصراحة بأننى لا أقبل بقاء أية وحدات سوفيتية فى مصر ليست تحت القيادة المصرية.

وعندما تدخل الرئيس حافظ الأسد لتحسين العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى وسافر سراً إلى هناك وجد السوفيت على استعداد لتحسين العلاقات. ولذلك سافر عزيز صدقى إلى موسكو ودخل معهم فى مناقشات عنيفة ، أكدوا بعدها أن سياستهم تجاه مصر لم ولن تتغير على الرغم من قرار إنهاء عمل المستشارين الروس فى مصر. وقد أخطروا عزيز صدقى بأن

علاقتهم معنا والتزامهم بإمـدادنا بالسـلاح لن يتأثر نتيجة الاتفاق الودى الذى عقد بينهم وبين أمريكا.

لكنهم قالوا أيضاً لعزيز صدقي: لو كنا في مثل موقفكم لقاتلنا لتحــرير أرضنا حتــى لو لم يكن لدينا سوى البنادق. ولذلــك فأنا أطالبكم بإعداد خطة هجومية وتحديد مواعيد تنفيذها طبقاً لما بين أيدينا من إمكانيات وليس حسب ما يفترض وجوده.

وعلق بعض القـادة على حــديث الرئيس وتكلمـوا عن الســاتر الترابى الذى أعــده العدو بارتفاع ٢٠ متــراً وجعله متصــلاً بحافة القنــاة . وقـــال اللــواء عــبـد المـنعم واصــل إن ذلــك يجــعلنــا نتوقــع خســائر كبيرة ، كـما أنه يتيح للعدو كشــف مواقعنا وكل تحركاتنا.

وتجاهل الرئيس هذا التعليق عندمــا استطرد مؤكداً ان علينا أن نضع الخطة التى تعتمد على ما يتوافر معنا وليس على المفروض توافره.

لقد قــال بعضـــهم : إن إزاحة الســاتر الترابى وضـرب النقاط الحصــينة أمام قواتنــا عندما تعبــر يتطلب قنبلة ذرية.. وإنه بدون القنبلة الذرية ســتتــحطم موجــات العبور وســتدفن تحت الــساتر الترابى بين مياه القناة ونقاط خط بارليف.

وربما لا يعرف كثــيرون أن هذا الكلام تردد بصورة جدية بين الأخ معــمر القذافــى والرئيس عبدالناصــر ـ الله يرحمــه ـ وكانوا

يقولون إن الحل السلمى هو الممكن الوحيد فى غياب القنبلة الذرية العربية.

والرائد عبدالسلام جلود كان قد جاء إلى مصر فى زيارة سرية واجتمع بالرئيس عبدالناصر ـ الله يرحمه ـ وقال له ان ليبيا تنوى شراء قنبلة ذرية وإنه سيذهب للتفاوض على شراء القنبلة من الصين.

ويومها قال عبدالناصر ان القنابل الذرية ليست أبداً سلعة معروضة للبيع. لكن جلود سافر متنكراً إلى الصين عن طريق باكستان وبجواز سفر غير ليبى واجتمع مع شواين لاى وطلب منه قنبلة ذرية تكتيكية صغيرة مع استعداد ليبيا لدفع ثمنها.

وطبعاً شواين لاى فوجىء بالطلب.. ورد بطريقة مهذبة بما يفيد أن الدولة التى تريد قنبلة ذرية يجب أن تصنعها بأيدى أبنائها وأن تعتمد فى ذلك على نفسها.

وأنا أقول لكم بصراحة ان المتوافر لدينا الآن من سلاح ومعدات وتجهيزات هى التى سندخل بها المعركة، وعليكم جميعاً أن تضعوا خطة هجومية لا تعتمد على شىء آخر سوى ما معنا من سلاح.

وأنا طلبت الاجتماع بكم لاستمع إلى المشاكل والمعوقات ونحاول أن نذللها معاً ونضع الأسلوب المناسب لمواجهتها.

وطبعاً القرار الذى أصدرته العام الماضى ـ منذ سنة بالضبط ـ فى أكتوبر ١٩٧١ لا يزال قائماً وهو القرار الخاص بأن اتولى

عمل القائد العام للقوات المسلحة بنفسى. ولذلك طلبت من الوزير أن نناقش معاً المشكلات القائمة وأن أسمع منكم مباشرة.

لكن قبل ذلك أحب أن أضعكم فى الصورة..

إن اجتماع اليوم سيعقبه اجتماعات أخرى مع الخارجية والداخلية والتموين والإعلام وجهاز المخابرات العامة، وسأبحث مع كل جهة قرار الحرب على كل المسارات بالإضافة إلى بحث المسار السورى والمسار العربى والدولى. وسنحدد موقف الجبهة الداخلية والتموين وخطوات حشد الرأى العام الداخلى بالإضافة إلى المساندة العربية والعالمية.

وعلى المسار العسكرى نجحنا فى التحول إلى الهجوم. وقد تابعت معكم المشروع الهجومى منذ بدايته، والمطلوب الآن هو أن يكون واضحاً للجميع أن خطة الهجوم لابد أن تستكمل بالأسلوب الذى يناسب ما بين أيديكم.

وكانت هذه الكلمات تشكل نوعاً من الصدمة لبعض القيادات العسكرية التى ضمها هذا الاجتماع.

لقد كان حديث السادات يعنى تحديداً دقيقاً لأسلوب التحرك الاستراتيجى.. وربما أجهض ذلك معظم ما كان سيخوض فيه المجتمعون حول المشاكل القائمة والصعوبات التى تواجهها القطاعات المختلفة.

وقد تضمن حديث الرئيس رداً على ما كان يتردد حول استحالة ضرب النقاط الحصينة فى خط بارليف وإزالة الساتر

الترابى شرق القناة بدون قنبلة ذرية.

لكن رد الفعل كان سلبياً على البعض - خاصة وزير الحربية الفريق أول محمد صادق - ولم تمض ٤٨ ساعة على هذا الاجتماع حتى صدر قرار بإعفاء محمد صادق وتعيين الفريق أحمد إسماعيل على وزيراً للحربية، وإعفاء اللواء بحرى محمود على فهمى قائد القوات البحرية وتعيين اللواء فؤاد ذكرى قائداً للبحرية، كما شملت حركة الاستبعاد كل من أبدى عدم اقتناع بكلام الرئيس وبحتمية الحرب وهم الفريق عبدالقادر حسن واللواء على عبدالخبير واللواء محمد محرز مدير إدارة المخابرات الحربية وتعيين اللواء فؤاد نصار بدلاً منه.

وقد تم القبض على اللواء على عبدالخبير وبعض الضباط ومنهم عناصر بالمخابرات الحربية يشكلون معاً تنظيماً سرياً يسمى « إنقاذ مصر » ، ويهدف إلى القيام بانقلاب عسكرى والاطاحة بالرئيس السادات. وكانت الخطة تعتمد على مهاجمة مكان الاحتفال بزفاف كريمة سعد الدين الشاذلى - ناهد - الذى سيحضره الرئيس السادات وكبار قادة وضباط القوات المسلحة يوم ٩ نوفمبر ١٩٧٢ واعتقالهم جميعاً.

وقد كشفت التحقيقات عن أن المتآمرين كانوا يتحركون من منطلق وطنى لأنهم كانوا يظنون أن هناك قوى معادية تدفع مصر دفعاً إلى الحرب دون استعداد بقصد القضاء تماماً على القوات المسلحة المصرية وإجهاض كل محاولة لاسترداد سيناء ونشر الفوضى فى البلاد.

ولم يكن الفريق صادق مـشاركاً فى المؤامرة لكنه كان يـعتقد أن الشـيوعـيين يهـدفون إلى دفع مـصر للحـرب لتعم الفـوضى ويسيطروا هم على مقدرات الشعب المصرى.

وشاء القدر أن تتكشف أبعاد المؤامرة من خلال ضابط صغير فى المخابرات الحربية علم بوجود اجـتماعات سرية يرأسها اللواء على عبدالخبير وأبلغ بهـا أحد أقاربه لينقلها إلى الرئيس السادات. وتم القبض على هؤلاء الضباط وقدموا إلى المحاكمة العسكرية.

وبهذه الـتعيـينات الجديـدة.. وباستبـعاد المـعارضـين لفكرة الحرب بواسطة ما يتوافـر من سلاح ومعدات.. بدأ الإعداد لدوران عجلة الحرب على مدى عـشرة أشـهر كانت تجرى خـلالها عمليات تمويه وخداع استراتيجى تمهد لحلقات أخرى من الخداع التكتيكى الذى سبق ساعة الصفر بـأسابيع قليلة أو بأيام محدودة.. لتكتمل فى النهـاية خيـوط الخـديعة الكبـرى التى صنعت المـفاجـأة فى أكتوبر ١٩٧٣.

وعلى الجانب الآخـر من أرض الصراع كان العـدو الإسرائيلى ينظر للأمر من زاوية أخـرى تؤكد عدم جدية مصـر فى الهجوم. ورسخ ذلك فى وجدان القادة العسكريين هناك.

وهذا مـــا عـبـر عنـه المـشـــاركـون فى الندوات واللــقــاءات التليفزيونية التى بثها تليفزيون إسرائيل وفى أحاديث السياسيين والعـسكريين الإسـرائيليـين وتصـريحـاتهم للصـحف المـحليـة والأجنبية.

فقبل أسابيع قليلة من إجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة

فى بيت الرئيس السادات تم تسريح ٣٠,٠٠٠ (ثلاثين ألف) مجند مصرى وإحالتـهم إلى الاحتياط. وكان هذا الإجراء يمـثل مفاجأة هائلة خاصـة أن جميع المـجندين الذين شهدوا أحـداث يونيه ٦٧ بقوا فى الخدمة لسنوات طويلة إلى أن تم تسريح الثلاثين ألفا فى يولية ١٩٧٢..

ورأى الإسرائيليـون فى ذلك مؤشراً من مؤشـرات اليأس عند المصـريين دون أن يتنبهوا إلى أن الـجنود المسرحـين كانوا من غير حملة المؤهلات ومعظمهم من العـاملين فى مواقع غير قتالية وليس منهم من يشارك فى الوحدات الضاربة.

كما تلقـفت أجهزة تحليل المعلومـات فى إسرائيل النكات التى انتشرت فى مصر عن الضباب الذى يحول دون محاربة إسرائيل.

وقصة الضباب بدأت عندما أعلن الرئيس أنور السادات فى عام ١٩٧١ أن هذا العـام ـ أى ١٩٧١ ـ هو عام الحـسم وان القضـية سيـتم حسمهـا حرباً أو سلماً قـبل بداية عام ١٩٧٢.. ورغم ذلك مـضت شهـور العام دون أن تنجـح كل المحـاولات والمبـادرات السياسية وأصبح الناس يتوقعون الحرب قبل نهاية ديسمبر.

وفى بداية ديسـمبـر ـ وبالتـحديد يوم ٣ ديسـمبـر ١٩٧١ ـ اندلعت الحرب الهندية ـ الباكـستانية وكان السوفيـيت مشغولين بدعم الهند فى مـواجـهة باكـسـتان التـى كانت تحظى بـالتأييـد الامريكى.

ومع بداية يناير ٧٢ تحدث الرئيس السادات ليـبرر مضى عام الحـسم دون حسم. وقـال إن «الضبـاب» حال دون قـيام مـصر

بالهجوم، وإن نشوب الحرب فى شبه القارة الهندية جعل المسرح العالمى غـير متقـبل للحرب فى الشرق الأوسـط ، وأن السوفـييت توجهوا بكل ثقلهم نحو تأييد الهند.

وروى قصة «الضباب» مع الرئيس جمال عبدالناصر عندما أمر يوماً القوات الجـوية بضرب قوات العدو المتمـركزة شرق القناة، لكن الطائرات واجـهت ضبـاباً كثـيفاً يحـجب الرؤية فـعادت إلى قواعدها دون أن تـقوم بتنفيذ المـهمة. وعاد الرئيس عبـدالناصر يصدر أوامره بأن تقوم الطائرات بمهمتـها بعد ساعة أو ساعتين. لكن الضباب لم ينقشع ولم تتمكن الطائرات من تنفيذ المهمة.

وتكرر ذلك للمـرة الثـالثـة عندمـا حـال الضـبـاب أيضـاً بين الطائرات وبين قذف مواقع العدو شرق القناة، مما اضطر الرئيس عبـدالناصر إلى إلغـاء الأمر قـائلاً : «ربنا مش عايزنا نقـوم بهذه الضربة».

وبعد أن روى الرئيس السـادات هذه القصة أعلن أن الضـباب حال دون أن يكون العام ٧١ هو عام الحـسم ونشوب الحرب بين الهند وباكستان هو أيضاً شكل من أشكال الضباب.

وانطلقت النكات حول الـضباب وقصـته. وكان من بينهـا نكتة تقول إن الرئيس أنور السادات أصـدر أمراً بأن يكون عام ٧٢ هو امتداد للعام ١٩٧١ وأن يسمى ٧١ بشرطة أو عام ١٩٧١ مكرر.

ورغم ذلك كان تراجع السادات يدعم عمليـات الخداع والتمويه الاستراتيجى سـواء قصد إلى ذلك أو لم يقصد. وكان مـن المفيد أن يشعر العـدو بعدم جدية مصر فى الـحرب ، بشرط ألا ينعكس

ذلك على القادة وعلى القائمين بالتخطيط للعبور.

ولعب قرار الاستـغناء عن الخبراء السوفـييت نفس الدور لكنه كان دوراً مزدوجاً لأنه وضع القيادات العسكرية أمام مسئولياتها كاملة وضاعف من حماس ضباط العمليات، وفى الوقت نفسه أكد الإحساس لدى العدو بعدم جدية مصر فى الاستعداد للعبور.

وبقدر مـا كان قـرار تسريح ٣٠ ألف مجنـد فى يولية ١٩٧٢ مرحلة مـهمة من مراحل الأعداء بـقدر ما ساعد علـى خداع العدو ورسوخ مـشاعر الاطمـئنان والترهل فى وجدانه ووجـدان قادته العسكريين والسياسيين على السواء.

والواقع أن الاستـغناء عن هذا العدد الكبير من المـجندين كان جزءاً من تطوير خطة التعبئة العامة في مصر بعد قرار إيقاف نقل الجنود إلى الاحتياط الذى صدر عام ١٩٦٧، والذى كان له تأثيره على معنويات الأفراد بعد أن مضـي عليهم فى التجنيد ما يقرب من ست سنوات، كما أنه يشكل عـبئاً مالياً كبـيراً دون جدوى لوجود معظمهم خارج التشكيلات المقاتلة، وفى مواقع خلفية ضمن أعداد كبيرة مخصصة لحماية العمق وحراسة المنشآت الحيوية.

وكان عـدد الأفراد فى القـوات المسلحـة المصرية قـد بلغ مع بداية عـام ١٩٧٢ ما يقـرب من مليون رجل مع انخـفاض القـدرة القتـالية لنسـبة كـبيـرة منهم وعدم توافـر معدات وأسلحـة تفى باحتياجات القوات العاملة. وكان نظام الاستدعاء يؤدى أحياناً إلى وجود قوات إحتـياط مستدعاة يكلف أفرادها بأعمـال غير مؤهلين لها وغير مدربين عليها.

وبقدر ما أفادت خطة تطوير التعبئة بقدر ما ساعدت على خداع العدو الذى استراح إلى قرارات تسريح الجنود المصريين ونقلهم إلى الاحتياط.

وفى الوقت نفسه كانت أجهزة التعبئة قد أدخلت نظام الاستدعاء بواسطة الكمبيوتر واستفادت من نظم الاستدعاء المطبقة فى كل من السويد وسويسرا وإسرائيل ، وهى نظم متطورة للغاية وتعتمد على أجهزة الكمبيوتر.

وشهدت الشهور الأولى من عام ١٩٧٣م الكثير من القرارات والتحركات التى ساهمت فى الخداع الاستراتيجى للعدو ومهدت لعمليات الخداع التكتيكى بعد ذلك.

لقد كان من المعروف أن هناك نقصاً فى عدد الطيارين. وبدأت الطلعات التدريبية للطيران تركز على العمل فوق الخطوط المصرية غرب القناة والتظاهر بالاتجاه نحو الدفاع عن المناطق الحيوية وإطالة خطوط طيران العدو من قواعده على قدر الإمكان .

وبدأت مصر فى إقامة مطارات جديدة لم يكن من المقرر لها أن تنتهى قبل عام أو عامين، مما يؤكد عدم استعداد المصريين للحرب.

ومن أمثلة ذلك البدء فى إنشاء مطارات فى بطن جبال البحر الأحمر بمعاونة خبراء[*] فى إقامة الأنفاق الجبلية. وبدأ بناء مطار النفق الجبلى فى مايو ٧٣ وكان القادة الذين يتجهون لزيارة

الجبهة يزورون هذا المشروع مؤكدين أهمية المطارات الجديدة فى الخطة الهجومية.

وبالطبع بدأت معركة العبور وانتهت قبل أن ينتهى مطار النفق الجبلى. وكانت التحركات المتكررة للوحدات المختلفة تشكل أيضاً لغزاً للعدو الذى لم يفهم الدافع وراء معظم تلك التحركات. لقد كان سلاح المهندسين يدفع فى النهار بمعدات العبور وببعض الجسور والكبارى فى اتجاه قناة السويس عند مواقع الجيشين الثانى والثالث الميدانيين ثم يعيد سحبها ليلاً. وكثيراً ما تحركت كتائب وألوية بالكامل شمالاً وجنوباً ومن الغرب إلى الشرق وبالعكس دون أن يكون لذلك سبب مفهوم.

ووقع العدو فى الفخ. وظن لعدة مرات أن هناك استعدادات حقيقية للعبور. وأعلن حالة الطوارىء أكثر من مرة ليكتشف أنه تحمل الكثير من الأعباء الإدارية والمالية والعسكرية دون جدوى.

وبدأ يرسخ فى وجدان القيادة المعادية أن هذه التحركات مجرد لعبة مصرية من ألعاب الاستنزاف، استناداً إلى اعتماد القوات الإسرائيلية الضاربة على نسبة عالية من أفراد الاحتياط، وان استدعاء الاحتياط يمثل عبئاً مزدوجاً على القيادات العسكرية فى إسرائيل وعلى القطاعات المدنية التى يقوم عليها أفراد الاحتياط.

وساعد ذلك علي تبرير التحركات العسكرية المصرية قبل أيام من معركة العبور وساهم فى إساءة تفسيرها من قبل القادة

الإسرائيليين. لكن الواقع أن هذه التحركات المصرية التي ظلت غامضة في نظر العدو، كانت تمثل حلقة في سلسلة المشروعات التدريبية للوحدات المختلفة والتي توجتها مناورات خريف ٧٣ التي عرفت بأنها مشروع تدريبي تعبوي والتي أصبحت ظهر يوم السادس من أكتوبر خطة الهجوم «بدر» التي عبر بها أكثر من ٤٠ ألف رجل قناة السويس في أقل من ست ساعات.

ولعب جواسيس إسرائيل في مصر دوراً مكملاً في خطة الخداع الاستراتيجي. وكانت جميع التقارير والمعلومات التي ينقلها جواسيس إسرائيل إلى قادة الموساد في تل أبيب تؤكد عدم قدرة مصر على القيام بأي عمل هجومي.

وأوضح مثال لذلك الجاسوسة الأمريكية في القاهرة التي كانت ترأس شبكة محدودة للتجسس على الخبراء السوفييت في مصر. وتكشّف أمر هذه الجاسوسة قبل عام كامل من الحرب.

والجاسوسة الأمريكية اسمها «سو آن هاريس» وكانت تعمل في قسم رعاية المصالح الأمريكية في القاهرة حيث كانت العلاقات الدبلوماسية مقطوعة مع الولايات المتحدة. وكان يعمل مع «الآنسة سو آن» شاب مصري من أصل يوناني اسمه «طناشي راندو بولو» حرص على إقامة علاقات صداقة قوية مع بعض الخبراء السوفييت . وإستطاع طناشي أن يجمع معلومات كثيرة من صديق له من الخبراء السوفييت اسمه «بيليكوف» ظل يعمل في القاعدة الجوية المصرية لمدة عامين وكان على اتصال دائم بالجاسوس طناشي. وعندما عاد «بيليكوف إلى بلاده قدم إلى «طناشي» خلفه «فيكتور» ومساعده «يوري»

واستطاع الجاسوس طناشى أن يدخل إلى القاعدة بواسطتهما ويتجول داخلها وينقل المعلومات إلى الآنسة «سو» فى مبنى القنصلية الأمريكية بالقاهرة.

ومن أهم المعلومات التى قدمها طناشى إلى الجاسوسة الأمريكية أن الطائرات المصرية داخل مخازن خرسانية لوقايتها من الهجمات المعادية وأن الفكر الدفاعى يسيطر على العاملين بالقوات الجوية المصرية. وقللت تقارير طناشى كثيراً من قيمة أجهزة الرادار المصرية ونقل إلى الجاسوسة الأمريكية تأكيدات الخبراء السوفييت عن وجود أجهزة رادار فى روسيا تتفوق كثيراً على الأجهزة التى حصلت عليها مصر.

وأهم فقرة فى آخر تقرير قدمه الجاسوس عن مصر قبل القبض عليه تقول :

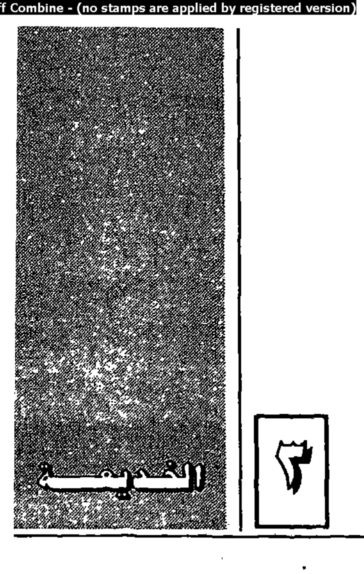
«إن المصريين غيرمستعدين وغير قادرين وغير جاهزين للحرب.. وقد يمر وقت طويل جداً قبل أن يصبحوا قادرين على استئناف القتال من جديد». ونقل الجاسوس هذه التأكيدات أكثر من مرة على لسان أصدقائه من الخبراء السوفييت العاملين فى مصر».

وتم القبض على طناشى وعلى الجاسوسة الأمريكية ـ سو آن هاريس ـ وأكدت التحقيقات أن هذه المعلومات كانت تنقل إلى الولايات المتحدة أولاً بأول ، وأنه من المؤكد أنها كانت تجد طريقها إلى تل أبيب فى إطار اتفاقيات التعاون فى مجال المعلومات.

وتم استدعاء الجنرال أوكينيف ـ كبير المستشارين الروس فى مصـر ـ وإبلاغه بالأمـر وبتعليـمات الرئيس أنور السـادات بعدم إثارة الموضـوع بصورة علنية وترك الأمر للسـوفييت ليعـالجوه بطريقـتـهم والتـصـرف مع الأفراد الـذين قامـوا بتـسـريب هذه المعلومات مـع اتخاذ الإجراءات المناسبة التى تـضمن عدم تكرار مثل هذا الحادث.

وقبل أن يمـضى أسبـوع واحد على القـبض على الجاسـوسة الأمـريكية وعـمـيلهـا طناشى أصدر الرئيـس أنورالسادات أمـراً بالافراج عنها وترحيلها إلى بلادها.

وكانت كلمة «كتر خـيرها» هى أبلغ ما يعبر عن دورها الذى لم تتعمده والذى ساهم فى الخداع الاستراتيجى للعدو.



٣

إسرائيلى يشترك فى التخطيط للعبور

- كتاب «الأعياد اليهودية فى إسرائيل» المرجع الرئيسى لتحديد ساعة الصفر
- أعضاء المجلس الأعلى السورى وصلوا الإسكندرية سرا فى هيئة سائحين
- حائط الصواريخ المصرى ينتقل إلى سيناء فوق أكتاف الجنود
- رحلة الأسد السرية إلى موسكو



لم يقدر أحد من أفراد الدورية قيمة هذا الإسرائيلي الشاب الذى عادت به دوريتهم من مغامرتها الليلية لخطف أسير من شرق القناة. لقد اكتشفوا عند استجوابه أنه مهندس فني يعمل فى صيانة خزانات الإشعال الموجودة داخل النقاط الحصينة لخط بارليف، وإنه يأتى ضمن مجموعة الصيانة الدورية لهذه الخزانات وخراطيمها الممتدة إلى مياه القناة وأجهزة الإشعال المتصلة بها.

وكانت القوات الخاصة تقوم بالتسلل إلى شرق القناة فى دوريات للاستطلاع ، تتحول أحياناً إلى دورية خطف أسير تعود به إلى الضفة الغربية للقناة لاستجوابه وإرساله إلى القاهرة لاستكمال عمليات الاستجواب. وكانت هذه الأعمال تتكرر حتى أنها كادت تصبح عملاً روتينياً.

ولا توجد حتى الآن معلومات محددة عن إطار التعاون بين العملاء فى سيناء المحتلة وبين عناصر الاستطلاع ـ وربما لن تتوافر هذه المعلومات أبداً ـ لكن المؤكد أن عمليات خطف الأسرى تكررت وحققت نتائج طيبة.. ومنها ما كان عندما اكتشف

ضابط الاستطلاع المصرى أن الأسير القادم من الشرق يعمل فى صيانة خزانات البترول المتصلة بالضفة الشرقية لقناة السويس.

واستطاع هذا الشاب الإسرائيلى أن يرسم بدقة شكل الخزانات التى يعمل فى صيانتها، وأن يحدد أماكنها والعمق التى تختفى داخله ومكان وطول الأنابيب التى تنقل محتويات الخزان إلى مياه القناة ، وكيف أنها ستطفو فوق السطح وكيف يتم إشعالها ليتحول سطح القناة إلى حرائق متأججة في مواجهة من يعبرها.

وتم وضع هذه الرسومات والبيانات تحت تصرف سلاح المهندسين مع التقارير التى أعدتها الضفادع البشرية بعد عدة عمليات استطلاع من تحت سطح الماء لهذه الخزانات وفتحاتها المتصلة بمياه القناة.

وأثبتت عمليات المقارنة والمضاهاة صدق الشاب الإسرائيلى الذى بقى معتقلاً فى القاهرة ليكون تحت تصرف المهندسين إذا أرادوا مناقشته فى أى تفاصيل فنية.

وكان المطلوب هو وضع خطة تبطل فاعلية هذه الخزانات وتمنع إشعال النيران فوق مياه القناة على أن تكون هذه الخطة بسيطة على قدر الإمكان وسهلة التنفيذ ويمكن لعدد قليل من الأفراد القيام بها دون أن يشعر بهم العدو إلي أن يفاجأ بقوات العبور فوق قناة السويس وخزانات نيرانه معطلة عن العمل. وعندما يتم إعداد هذه الخطة سيكون من السهل تدريب بعض عناصر الضفادع البشرية والصاعقة على تنفيذها فى توقيت مناسب قبل بدء العمليات ، حتى لا يكتشف العدو الأمر ويعيد

إصلاح تجهيزاته ويتنبه إلى الخطة المصرية.

ولم يكن ذلك وحده ما يشغل خبراء سلاح المهندسين فى تلك الليلة، وإنما كانت هناك مجموعات أخرى تعمل على نماذج المعابر العائمة والكبارى وقياس الزمن الذى تستغرقه كل مرحلة من مراحل إعداد الكوبرى ونصب المعابر إلى أقرب دقيقة.

وتلقت مجموعة أخرى نتائج تحليل الرمال التى يتكون منها السد الترابى شرق القناة بعد أن انتهت عمليات تحديد مكونات هذه الأتربة وأنسب أنواع الطلقات التى يمكن لها أن تخترق السد الترابى.

وتماثلت نتائج التحليل مع نتائج تحليل عينات أخرى، تم احضارها من جزيرة البلاح من نواتج أعمال تعميق وتطهير قناة السويس. وثبت أن مكونات نواتج التطهير الموجودة فى جزيرة البلاح مماثلة لمكونات الساتر الترابى الذى أقامته إسرائيل إمام مواقعها الحصينة شرق القناة. وتم فتح ملف التجريف الذى سبق إعداده.

وكانت بيانات الملف مصدر سعادة بالغة لمجموعة العمل التى تعد خطة التعامل مع هذا الساتر الترابى. ومصدر هذه السعادة يرجع إلى وجود نواتج التطهير بين أيدينا حيث أن جزيرة البلاح تحت السيطرة الكاملة للقوات المصرية، لكن الأهم من ذلك بكثير أن هناك تجارب سابقة على التعامل مع هذه الأتربة قد تمت بنجاح فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر وأثبتت إمكانية التغلب على هذا الساتر الترابى بسرعة وفاعلية، بشرط تماثل مكونات

السد الترابى مع مكونات نواتج تطهير القناة الموجودة فى البلاح. وترجع أحداث هذه الخطة إلى عامين سابقين عندما كانت هيئة قيادة الفرقة ١٩ مشاه تناقش دورها فى خطة الإعداد للعبور وكيفية نقل فرقة مشاه - بكامل معداتها ومركباتها - إلى شرق القناة. وكان ضمن المجتمعين ضابط برتبة مقدم اسمه «عبدالباقى» وكان يشغل منصب قائد فرع المركبات بالفرقة ١٩ مشاة.

وكان المقدم عبدالباقى قد انتدب من قبل للعمل فى السد العالى وشهد هناك عملية تجريف رمال الجبال باستخدام المياه المضغوطة. وشرح ما رآه فى السد العالى عام ١٩٦٤ - أى منذ ٨ سنوات - عندما كان يتم التجريف بواسطة مضخات رفع مياه النيل ودفعها بقوة فى خراطيم يتم تسليطها على رمال الجبال التى يسهل بعد ذلك شفطها.

وكان الأمر بالنسبة للسد الترابى شرق القناة يبدو أسهل كثيراً مما كان في السد العالى لأننا لن نحتاج إلى إعادة شفط الرمال وإنما ستنساب تلقائيا إلى القناة مع المياه المنطلقة من الخراطيم، لتنفتح الثغرات وتعبر منها المركبات والمدرعات إلى سيناء.

وربما ساعدنا العدو كثيراً فى هذا المجال عندما قام باستكمال السد الترابى وجعله ملاصقاً لحافة القناة الشرقية بهدف مضاعفة صعوبة تسلقه. لكنه لم يكن يدرى أن ذلك سيساعد كثيراً على انسياب نواتج التجريف إلى قاع القناة، خاصة مع زيادة زوايا الميل للجانب الغربى من الساتر الترابى.

وظلت المعضلة القائمــة هى كيفية توفير مضــخات دفع المياه بهذه القوة أمام مواقع معادية وفى وقت قــصير كل دقيقة منه لها ثمن باهظ. والأهــم من ذلك مـصـدر الطاقــة التــى ســتـدير هذه المضخات القوية.

ولم يكن مطلوباً من المـقدم عبدالبـاقى ولا ممن شاركوا مـعه يومها فى هذا الاجتماع حل هذه المعضلة. وقبل البحث عن حلول لهذه المسألة، فكر قائد الفرقــة فى إجراء تجربة علي نواتج تطهير القناة المتراكمة فى جزيرة البـلاح. وتم توفير طلمبات ضغط عال تعمل بالطاقــة الكهربائيــة ،وتحميلهـا على براطيم عائمة لتـشفط المياه من القناة وتدفــعها فى خراطيم ذات مخارج معـدنية متينة. وحققت التجربة نجاحاً كبيراً وانسابت الرمال مختلطة بالمياه إلى قاع القناة.

وأرسل اللواء سعــد زغلول قائد الفـرقة ١٩ مـشاة ــ فى ذلك الوقت ــ بنتــائج تجــاربه إلى القــيـادة العــامــة وأبلغ بهــا وزير الحربية. وتم يومــها نقل التفاصيل إلى الرئيس جمــال عبدالناصر الذى طلب مــواصلة التجارب وتحــديد المعــدات المطلوبة ووضع تقييم تفصيلى للنتائج.

ومـضـت الشهـور. وعندمــا حان مـوعـد وضـع خطط العبـور موضـع التنفيذ ،تم فتح ملف التـجريف من جديد على ضوء نتائج تحليل مكونات رمال الســد الترابى الذى أقامه العـدو شرق القناة ومقــارنتهــا بنتائج تحليل مـكونات رمال نواتج الحـفر والتطهـير الموجودة فى جزيرة البلاح.

وقبل أن يعقد الرئيس السادات اجتماع المجلس الأعلى فى بيته كـانت تجـربة أخـرى قد تمت فـى جزيرة البـلاح بهـدف تحـديد المعدات المطلوبة ووضـع خطة تدريب الأفـراد على تجريف رمال الساتر الترابى باستخدام مياه القناة.

وبدأ ملف التجـريف يكتمل بتقرير سـبق أن أعدته وزارة السد العـالى عن أسلوب التـجـريف الذى اتبعـوه فى أسـوان مـدعمـاً بالصور. واستطاع سـلاح المهندسين أن يضـع مواصـفات مدافع المياه التى سيـستخدمها الجنود يوم العبـور، بحيث تكون أصغر كثيـراً من المعدات التى استـخدموها فى السد العـالى، وأن تعمل بالوقود حيث لن تتـوافر الكهرباء مثلما توافـرت في مواقع العمل بالسد العالى. وبدراسة قدرة البراطيم العائمة على حمل الطلمبات الميكانيكية التى تعـمل بالوقود، وقوة المياه المندفـعة، ثبت نجاح الفكرة وأصبح هناك مدفـع مياه يستطيع فتح الثـغرة الواحدة فى السـاتر الترابـى فى زمن قيـاسى يفـوق كل الوسائل الـتقليـدية الأخرى ومنها القصف والتفجير.

وانتقلت عـمليات التـدريب إلى مواقع أخرى مـختلفـة كان من بينها نماذج معدة للتدريب على شواطىء بحيرة قارون بالقرب من الفيوم، وفى جزر ترابية وسط نهر النيل.

وانطلقت خطط التـدريب على جـميع مـراحل العـبور لتـوضـع موضـع التنفيذ على مستوى الفرق والألوية والكتائب.

وبدأت فى الوقت نفـسه مـجمـوعات الخـداع فى وضـع خطط الخداع التكتيكى لتكمل الخداع الاستراتيجى الذى كان قد بدأ يأتى

بنتائج مـشجعـة. وبدأت مجموعـة العمليات بقـيادة اللواء محـمد عبدالغنى الجـمسى فى دراسة المواعيـد وأنسب الأيام والساعات للمعركة بالتنسيق الكامل مع القيادة السورية.

وبدأت رحلة تحـديد الأيام المناسـبـة في مكتب رئيس هيـئـة العمليات عندما وقـف أمامه العقيد صلاح فهـمى ضابط التخطيط بهيـئة العمليات ، ليـعرض عليه التـقرير اليومى وملخص ما تبـثه إذاعـات العــالم عن المـوقف الدولــى وكل مـا يتـعلق بـمـصــر وبإسرائيل.

ونظر إليه اللواء الجـمسى طويلاً.. واستمـرت لحظات الصمت حتى قطعهـا اللواء الجمسى قائلاً : «ياصلاح.. هناك كـتيب أعدته المخابرات العـامة وطبعتـه بعنوان «الأعياد والمناسبـات اليهودية فى إسرائيل»، هات الكتاب ده وادرسه جيداً..

وكانت هناك أكثر من نسخة فى مكتبة هيئة العمليات. ولم يكن من الصعب على العقيد صلاح أن يستنتج أن الهدف هو البحث عن يوم مناسب للعبور.

لقد أصـبح اقتراح اليوم المـحدد للحرب مسـئولية سبـعة من الضـباط المـصـريين يشـكلون فرع التـخطيط بهـيئـة العمليـات، وتنحصر اتصالاتهم داخل دائرة منغلقـة تماماً عليهم وعلى رئيس هيئة عـمليات القوات المسلحة، تـنحصر رتب معظمهم بين عـقيد ومقدم ويرأسـهم عميد يخـضع مباشرة لرئاسة الـلواء الجمسى. وهؤلاء الضباط السـبعة يتمـتعون بهدوء الأعصـاب والقدرة على التركيز العميق، وتحليل المعلومـات والرؤية المستقبلية الواضحة

والتعاون الكامل والفكر المشترك الذى يحقق التفاهم الكامل للعمل بروح الفريق.

لقد صدر التوجيه السياسي من رئيس الجمهورية إلى وزير الحربية ببدء الحرب فى اليوم المناسب، اعتباراً من النصف الثانى من هذا العام ١٩٧٣.. والأيام تمر سريعاً والعمل لا يتوقف فى كل أفرع القوات المسلحة. ودخلت مجموعة العمل التى تضم أعضاء فرع التخطيط بهيئة العمليات فى سباق مع الأيام. ووصلت الآن إلى مرحلة البحث عن اليوم المناسب فى الجبهتين المصرية والسورية..

والبحث المنطقى يقتضى تحديد أنسب الشهور ثم أنسب الأيام فى الشهر الذى يقع الاختيار عليه.

وفى مجال الإعداد القتالى والتسليحى كانت الخطة قد اكتملت بتعلية السد الترابى على الضفة الغربية للقناة ليحجب جزئياً قدرة العدو على متابعة ما يجرى على الجبهة المصرية.

وتصور العدو أن هذا الساتر معد لصعود الدبابات عليه وإطلاق قذائفها من فوقه ثم الاحتماء خلفه. ولم يكن ذلك يشكل تعمية كافية لاستطلاعات العدو الذى اعتمد على التصوير الجوى بواسطة طائرات الاستطلاع. وهذا أدى إلى متابعة العدو لكل مراحل بناء حائط الصواريخ الدفاعى غرب القناة والذي يتحمل المسئولية الرئيسية فى التصدى لغارات العدو الجوية. وساعد ذلك على اطمئنان العدو إلى عدم قدرة القوات المصرية على العبور، لأن حائط الصواريخ لا يوفر غطاءً فى عمق سيناء وإنما

تقتصر قدراته على الجوانب الدفاعية بصورة أساسية.

ولم يعمل العدو حسـابا للصواريخ المضادة للطائرات ـ أرض جو ـ المحمولة بواسطة الأفراد والتى تمثل امـتدادا حقيقيا لحائط الصـواريخ المصـرى الذى انتـقل إلى أرض سيناء فـوق أكتـاف الجنود فى شكل الصواريخ «سام».

وكانت مفاجأة للعدو لا تقل عن المفاجآت الأخرى التى تحققت بواسطة الصواريخ المـحمولة المـضادة للدبابات ـ أرض أرض ـ والتى كانت ضمن خطة الخداع التعبوى.

وكـانت سائر المـؤشرات تؤكـد سـوء العلاقـات المصـرية ـ السوفيـتية خاصة في مـجال التسليح.. ولم يعرف أحد شـيئاً عن الزيارة السـرية التى قام بهـا الرئيس السـورى حافظ الأسـد إلى موسكو بـهدف تحسـين هذه العلاقـات دون أن ينعكس ذلك على ما ينشر أو يذاع.

وبعد نجاح رحلة حافظ الأسد السـرية إلى موسكو توالى سفر عدد من كبار القادة العسكريين المصريين ـ ومنهم وزير الحربية نفسه ـ وأسفر ذلك عن عقد صـفقتى سلاح وقطع غيار لم يعرف عنهما العـالم شـيئاً. وكان من المهم بقاء تفـاصيل هذه الأسلحة سراً، لكن الأهـم أن مـواعيد تسليـمها كـانت جميعـها قبل أكـتوبر ١٩٧٣.

وهذا كان من بـين العوامل التى تم الاسـتناد إليها عنـد تحديد موعد العبور المقترح. وكانت هناك دفـعة قوية إضافية فى صفقة أسلحة ثالثـة أطلق عليها القـادة اسم «صفقة مـارس»، والتى جاء

موعد تسليمها ليسبق الحرب بفترة قصيرة. وترجع أهمية «صفقة مارس» إلى أنـها كانت إضـافة للتـسليح الذى تعـتمد عليـه خطة العبور.

والسبب فى تسـمية «صـفقة مارس» يـرجع إلى أنها تمت في موسكو في شهـر مارس ٧٣ ووقعها هناك وزير الحـربية الفريق أحمد إسماعيل وسبقتها زيارة مهمة قام بها سراً إلى القاهرة وفد عسكرى سوفيتى برئاسة الجنرال لاشنكوف واستمرت من ٥ إلى ١٢ فبراير ١٩٧٣ وتم خـلالها التوصل إلى اتفاق بشأن الصـفقة الإضافية الذى وقعها أحمد إسماعيل فى موسكو.

وتم تدريب الطيارين المـصريين فى الاتحاد السوفـيتى خلال شهرى مايو ويونية ١٩٧٣. كما شملت الصفقة الإضافية ما أشار إليه الرئيس الســادات فى بعض خطبه قائلاً: إننى قـبل أن أحارب لابد أن أضـع «الإلكتـرون» فى يد أبنائى. وكان ذلك مثـاراً للنكات التى لابد أنها تسربت إلى مـخابرات العدو، دون أن يدرى أحد أن المقصود بوضع الإلكترون فى يد الجنود هو الأخذ بفنون الحرب الالكترونية التى لم تكن معـروفة للعامة من الناس فى ذلك الوقت، والتى انعكست على مسرح العمليات فى صورة سرب للاستطلاع والإعاقة الإلكترونية لم يعمل العدو حساباً له.

واكتملـت أمام القيادة العامـة للقوات المسلحـة صورة القوات المـصرية الجـاهزة للعمل والتى يمكن بـها شن حـرب هجومـية مفـاجئـة وواسعـة بطول جبـهة قناة السـويس مع توفيـر قوات الاحتياط والدفاع عن العمق الاستراتيجى.

وكانت هذه القوات تمثل حشداً كافياً لتحقيق خطة العبور طبقاً للاحتياجات رغم أن فلسفة الإعداد للعبور استندت في بدايتها إلى حتمية الحرب بما يتوافر من إمكانيات وليس بما يجب أن يكون.

وهكذا التقى التوجيه السياسي للقائد الأعلى بحتمية الحرب مع الإعداد العسكري للمعركة. وباستكمال الاعداد بدأت مرحلة اختيار التوقيت وتحديد اليوم (ى) ولحظة البدء (س) مع تنفيذ خطط الخداع التكتيكي المكملة للخداع التعبوي وما سبقها من خداع إستراتيجي.

وبينما كان العقيد صلاح يعكف على دراسة كتيب «الأعياد والمناسبات اليهودية في إسرائيل» كانت هناك دراسات أخرى أمام الضباط السبعة في فرع التخطيط بهيئة العمليات وصورة أخرى أمام اللواء الجمسي رئيس الهيئة.

كان الهدف من تلك الدراسات البحث عن أفضل شهور السنة لاقتحام القناة من حيث حالة المد والجزر وسرعة التيار البحري واتجاهه. ولم يكن في ذلك متغيرات كثيرة تختلف من شهر إلى آخر في مدى تأثيرها على وسائل العبور بالقوارب وعلى إقامة وتشغيل المعديات والكباري. إن الفرق في المنسوب بين أعلى مد وأعلى جزر هو ٨٠ سنتيمترا في القطاع الشمالي للقناة يصل إلى مترين في القطاع الجنوبي من الإسماعيلية حتى السويس. وسرعة التيار في القطاع الشمالي ١٨ متراً في الدقيقة تقفز إلى ٩٠ متراً في الدقيقة بالقطاع الجنوبي. واتجاه التيار يتغير دورياً كل ست ساعات من الشمال للجنوب وبالعكس.

وكانت هذه الظواهر الطبيعية تؤثر على وسائل العبور بالقوارب وعلى إنشاء وتشغيل المعديات والكبارى، وهو ما كان فى الاعتبار عند وضع الخطط القتالية للجيشين الثانى والثالث. أما عن التوقيت فقد كان العامل الأهم هو اختيار يوم يتميز بطول ليله، ويكون فى شهر من الشهور التى لا تتعرض لتقلبات جوية شديدة تؤثر على تحرك القوات.

ولاكتمال عنصر المفاجأة امتدت الدراسة إلى البحث فى العطلات الرسمية فى إسرائيل بخلاف يوم العطلة الأسبوعية وهو السبت.

وبدأ شهر أكتوبر ٧٣ يبرز من وسط كل الاحتمالات التى تجرى دراستها. إنه فى الثلث الثالث من العام وهو داخل الإطار الزمنى الذى حدده الرئيس السادات للعبور. وهو من الشهور التى تجرى فيها مناورات الخريف المعتادة مما يجعل التحركات العسكرية تتم تحت ستار المناورات والمشروعات التدريبية.

وفى هذا الشهر - أكتوبر ٧٣ - يوجد ثمانية أعياد يحتفل بها الإسرائيليون ومنها عيد الغفران - المعروف باسم يوم كيبور - وعيد المظلات وعيد التوراة. وتطرقت الدراسة إلى طريقة الاحتفال بكل عيد من هذه الأعياد ومدى تأثيره على إجراءات التعبئة فى إسرائيل.

وفى عيد الغفران - يوم كيبور - وهو يوم السبت - ستتوقف الإذاعة والتليفزيون فى إسرائيل عن العمل وهو يوم صيام وسكون كامل. وهذا يعنى استحالة استخدام الإذاعة والتليفزيون

فى استدعاء قوات الاحتياط. وحتى إذا تم تشغيلها فإن أحداً لن يستمع إليها، لأن الناس تعرف أن الإذاعة والتليفزيون لا تبث شيئاً فى هذا اليوم. وستضطر القيادة الإسرائيلية إلى استخدام وسائل أخرى تستغرق وقتاً طويلاً حتى يتم تعبئة الاحتياط.

وهذا الوقت الطويل هو المطلوب بالنسبة لقوات العبور.

وفى هذا اليوم سيكون ضوء القمر ظاهراً فى النصف الأول من الليل لأنه يوم العاشر من الشهر القمرى، كما أن النصف الثانى من الليل سيكون مظلماً. وهذا يناسب تماماً خطة العبور بحيث تنتهى وحدات المهندسين من إنشاء وتركيب الكبارى فى ضوء القمر ليستمر تدفق العبور بالأفراد والأسلحة والمعدات تحت جنح الظلام.

وسيصادف يوم السادس من أكتوبر اليوم العاشر من شهر رمضان وهو شهر الصيام فى مصر مما يساعد على خداع العدو ويتيح الفرصة لتمثيل وافتعال احتفالات مع إبراز الإنشغال بها والتكاسل والاسترخاء.

وسينشغل الرأى العام فى إسرائيل كثيراً مع بداية شهر أكتوبر بالحملات الانتخابية التى ستكون على أشدها استعداداً ليوم التصويت فى الانتخابات البرلمانية للكنيسيت والمحدد لها ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣م.

وبالنسبة للجبهة السورية كان هذا اليوم مناسباً ولا يجوز تأخيره عن بدايات أكتوبر، حتى نتجنب موسم البرد الشديد وبدء تساقط الجليد.

واكتملت العناصر الملائمة فى يوم السبت السادس من أكتوبر الذى تسبقـه أعياد إسرائيلية ويصـادف عيد كيبور وتتـوقف فيه الحيـاة فى إسرائيل وحـالة الطقس تناسب الجـبهـتين المـصرية والسورية، ويصادف شهر الصيام الذى تستبعد فيه إسرائيل قيام عمليات عسكرية خلاله.

وسـيكون فرق المنسـوب بين المـد والجزر فى القناة أقل مـا يمكن، مما يتيح أنسب الظروف لعبـور القوارب وتشغيل المعديات وعمليات بناء الكبارى.

وانطلاقاً من ذلك بدأ التنسيق مع القيـادة السورية وتقرر عقد اجتماع مـشترك لأعضاء المجلس الأعلى للقـوات المسلحة فى كل من مـصر وسـوريا للإتفـاق على جـداول العمـليات وتوقـيـتها والتنسيـق الكامل بين الجبهـتين مع التـحديد النهـائى لليوم (ى) وساعة الصفر (س).

وجرت الاتصالات بيـن القاهرة ودمشق لتحديـد مكان وموعد الإجتـماع، ووسائل تأمـينه والحفاظ علـى عناصر السرية التـامة التى يجب أن تحاط بتحركات أعضائه.

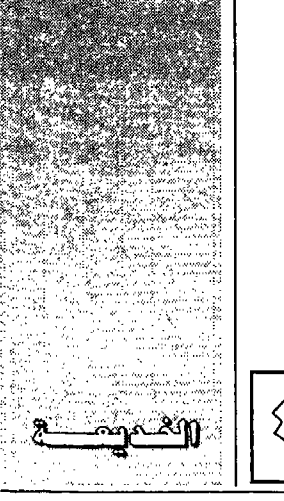
واتفـقـوا على أن يكون مكان الاجـتـمـاع فى الإسكندرية وأن يحضر أعضاء المـجلس العسكرى السورى إلى هناك متنكرين فى هيئة سائحين وبأسماء منتحلة وبأوراق غير حقيقية.

وتحقق ذلك داخل سفينة ركاب سوفيتية رست بجوار رصيف خاص بمـيناء الإسكندرية فى تمام السـاعـة الثانية بعـد ظهر يوم

الجمعة ٣١ أغسطس ١٩٧٣، وعلى سطحها ٦ سائحين في ملابس خفيفة ذات ألوان زاهية تناسب جو صيف الأسكندرية الحار المفعم برطوبة أغسطس.

وكان في انتظارهم رجل رشيق يبدو فى سن الشباب ويرتدى ملابس شبابية يبدو بها وكأنه مندوب شركة سياحية جاء ليستقبل مجموعة من السائحين. لكن أحداً لم يكن يتصور أنه في الحقيقة رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية - الفريق سعد الدين الشاذلى.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



٤

مصر تطلب من الدول العربية تأيد الحل السلمى

- خطة الهجوم بسبع فرق تتستر وراء مواقعها الدفاعية
- مدير مخابرات اسرائيل: لن نستدعى الاحتياط ولن نرقص على أنغام المصريين
- السادات والأسد قررا تخفيض العد التنازلى للحرب الى ١٥ يوماً



بعيداً عن العيون كان الاعداد للمراحل النهائية من الخطة الهجومية يجرى بسرعة وبكثافة كبيرة.

وقبل أن تكتمل الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الثلاثاء ٢١ أغسطس ١٩٧٣ كانت سفينة ركاب صغيرة ترفع العلم السوفيتي ترسو على رصيف خاص فى ميناء الأسكندرية. ورغم أن السفينة كانت سوفيتية الصنع وترفع العلم السوفيتي، لكن أحداً فى الاتحاد السوفيتي أو فى غيره لم يكن يعرف أن على سطحها ستة ضباط عظام ينتمون الي القوات المسلحة السورية، وأن رحلتهم الى الأسكندرية يتوقف عليها مصير الحرب فى الشرق الأوسط.

كل شيء كان يبدو طبيعياً. وليس هناك في هذه السفينة ما يثير الانتباه أو يلفت الأنظار. لقد كان من الطبيعى أن يزور مصر سائحون سوفييت ولم يكن لغيرهم من أوروبا أو من غيرها أن يأتوا الى الأسكندرية للسياحة فوق باخرة سوفيتية، بعد أن انكمشت الحركة السياحية الى مصر من كل دول العالم ما عدا الكتلة الشرقية وسائحيها المتواضعين. وكل من على سطح هذه السفينة كان يرتدى ملابس مدنية خفيفة تناسب حر أغسطس، وكان منهم من يضع قبعات أو كاسكيتات للوقاية من الشمس.

ولم يكن هؤلاء السائحون سوى أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة السورية يتقدمهم اللواء مصطفي طلاس «وزير الدفاع» واللواء يوسف شكور «رئيس أركان حرب القوات المسلحة السورية» واللواء ناجي جميل «قائد القوات الجوية والدفاع الجوى» واللواء حكمت الشهابى «مدير المخابرات الحربية» واللواء عبدالرزاق الدرديرى «رئيس هيئة العمليات» والعميد فضل حسين «قائد القوات البحرية».

ودون أية اجراءات أو مراسم تلفت الأنظار وجد الضيوف الستة طريقهم الى نادى الضباط بالأسكندرية، حيث أعد مقر اقامتهم. وتأكد لكل من يعمل فى نادى الضباط أن هؤلاء مجموعة من الخبراء السوفييت فى زيارة قصيرة لمصر.

وبعد فترة راحة تخللتها وجبة خفيفة بدأ كل واحد من القادة يخرج على حدة ليصلوا جميعاً على الانفراد الواحد تلو الآخر الى مقر قيادة القوات البحرية فى قصر رأس التين، حيث كان يتوالى وصول سبعة من القادة المصريين. واكتمل العدد ١٤ ضابطاً بوصول اللواء بهى الدين نوفل رئيس أركان حرب القيادة المصرية ـ السورية الاتحادية.

وكان القادة المصريون السبعة هم الفريق أول أحمد اسماعيل «وزير الحربية» والفريق سعد الدين الشاذلى «رئيس أركان حرب القوات المسلحة» واللواء محمد على فهمى«قائد الدفاع الجوى» واللواء حسنى مبارك «قائد القوات الجوية» واللواء فؤاد ذكرى «قائد القوات البحرية» واللواء عبدالغنى الجمسى «رئيس هيئة العمليات» واللواء فؤاد نصار «مدير المخابرات الحربية».

واكـتمل بذلك المـجلس الأعلي للقـوات المسلحـة المصـرية ـ السورية ليبدأ اجتماعه التاريخى.

وتولى اللواء بهى الدين نوفل أعمـال السكرتارية لهذا المجلس ولم يسمح فيـه بالتسجيل أو بدخول أية أجهزة الـكترونية. وكان اللواء الجمسى وحده يكتب الملاحظات ومـشروع القرارات ليقدم فى النهاية نسخة منها الى وزير الحربية المصرى ونسخة مماثلة لوزير الدفاع السورى.

وظهرت فى هذا الاجتماع نقاط خلاف كثيرة رغم الاتفاق التام على الخطوط الرئيسية.

ان الجـانبين المـصرى والسـورى يعـملان مـعاً على أسـاس تعليمات القـيادة السياسية فى البلدين، والتى تقـضى بشن عملية هـجوميـة واسعة على الجبهـتين، قبل نهاية أكتـوبر تجنباً لموسم الجليـد فى الجـبهـة السوريـة. والجمـيع اتفـقوا على أن القـوات المسلحة فى الدولتين جاهزة لتنفيـذ المهمة المسندة اليها، وأعلنوا أنهم ينتظرون القـرار السيـاسى ببـدء الهجـوم فى الموعـد الذى يصدق عليه الرئيسـان.

لكن اليوم والسـاعة ظلا موضع جدل.

كـان هناك اقـتـراح سـورى ببـدء العـمليـات فى يوم من أيام الأسبوع الثانى من سبتمـبر ما بين ٧ و١١ من ذلك الشـهر. وكان الاقتـراح الثانى يحـدد يوم الهجـوم (ى) ما بين ٥ و١١ أكـتوبر. وكان أنسب هذه الأيام بالنسبة للجبـهة المصرية هو السادس من أكتوبر.

وتفرعت المناقشات بين الجانبين لتتناول تفاصيل كثيرة اختلفت حولها وجهات النظر مما ترتب عليه مد الاجتماعات وتكثيفها حتى استمرت لمدة ستة أيام متواصلة. وتم تحديد فترة العد التنازلى للهجوم بعشرين يوماً تبدأ باليوم (ى ناقص ٢٠) أى قبل يوم الهجوم (ى) بعشرين يوماً. ورأى الجانب السورى أن الأمر يقتضى خمسة أيام؛ لتفريغ معامل تكرير البترول فى حمص؛ حتى لا تتعرض للقصف المعادى وهى مليئة بالبترول مما يشكل كارثة محققة.

وحول ساعة الصفر (س) اقترح الجانب المصرى أن تكون بعد الظهر حيث يكون قرص الشمس قد مال نحو الغرب وأصبحت أشعتها خلف المدفعية المصرية ووراء القوات وفي مواجهة العدو الذى سيكون قرص الشمس أمامه مما يمثل مصدر تفوق للجانب المصرى. لكن الأمر كان مختلفاً بالنسبة للجبهة السورية لأن القوات السورية تتجه فى عملياتها نحو الجنوب الشرقي. ولذلك يفضل الجانب السورى أن يبدأ هجومه صباحاً لتكون (س) أى ساعة الصفر مع أشعة الفجر الأولى.

واقترح الجانب المصرى تعديل الخطة لتبدأ القوات السورية هجومها مع الفجر وتنطلق القوات المصرية بعد الظهر. واعترض الجانب السورى على ذلك حتى لا يواجه وحده النشاط الجوى الاسرائيلى لعدة ساعات مع احتمال قيام العدو بهجوم مضاد على الجبهة السورية قبل أن يتجه الى الجبهة المصرية. كما أن اختلاف (س) سيفقد الخطة مزايا الهجوم المفاجىء على جبهتين في وقت واحد.

ودرس المجـتمعون فكرة أن تقـوم القوات المصرية بالهـجوم بعد ظهـر اليوم (ى) وتؤجل ساعة الهـجوم من الجبهـة السورية الى فـجـر اليوم الـتالى. (ى. زائد واحـد). لكن هذا الاقـتـراح تم استبعاده لاعتبارات سياسية باعتباره سيجعل الصورة تبدو كأنها حرب مصـرية بدأتها مصر ولحـقت بها سوريا فضـلاً عن فقدان عنصر الحرب المفاجئة من جبهتين في وقت واحد.

وقبل أن يتم حـسم نقاط الخلاف والتوصل الى تحـديد موحد لليوم (ى) وساعة الهجوم (س) كان الرئيس أنور السادات قد بدأ جولة في عدة بلاد عربية، لتشكل فى حد ذاتها آخر حلقات الخداع الاسـتراتيـجى وبداية مـراحل أخرى من الـخداع. اتجـه الرئيس السادات أولاً الى المـملكة العربيـة السعـودية؛ ليجتـمع مع الملك فيـصل، وترك انطبـاعاً بأنه يبـحث فى الزيارة عن دعم سيـاسى سعـودى فى مـجال الحـل السلمى. وكانت الجهـود الدبلوماسـية تتكامل مع النشـاط الاعلامى فى أوروبا وفى دوائر الأمـم المتحدة بنيـويورك بقصد تـحريك الجهـود الدبلومـاسية في اتجـاه الحل السلمى، وحرص مـصر على إعادة إحيـاء المبادرات السيـاسية. وتلقى وزير الخارجيـة الأمريكى هنرى كيسنجر أكـثر من اتصال يهدف الى تحركـه على المستوى الشـخصى بعـد أن انتهى موسـم الإجازات الصيفية على أمل أن تجـد مصر مخرجاً من ذلك الطريق المسدود التى وجدت نفسـها فيه وهى تدور حول دائرة مفرغة.

وفى قطر بحث الرئيس السـادات مجـالات التعـاون المشـترك بصورة تـسمح بتـسرب معلومـات عن تفاقـم الأزمة المالـية في مصر، وعدم قدرتها على الحصـول على سلاح وقطع غيار نتيجة

نقص احتياطيات العملة الصعبة وتوتر العلاقات المصرية ـ السوفيتية.

وفى ختام جولته طار الرئيس السادات الى سوريا للاجتماع بالرئيس حافظ الأسد. وتم تسريب معلومات وتحليلات الى صحف عربية خليجية ولبنانية حول طلب السادات وساطة الأسد في تحسين العلاقات المصرية ـ السوفيتية.

ورغم كل ما فى هذا من خداع يجعله مخالفاً للحقيقة تماماً، فان الأمر كان له بعض الانعكاس السلبى على الجبهة الداخلية المصرية وعلى الرأى العام فى مصر.

ولم يكن أحد يعلم أن السادات عندما بدأ هذه الجولة كان المجلس الأعلى للقوات المصرية ـ السورية يضع فى الأسكندرية اللمسات النهائية للخطة الهجومية ولخطة الخداع التى تسير جنباً الى جنب مع خطة العمليات وتحديد مواعيد مراحل الهجوم من الجبهتين.

وعندما انتهت اجتماعات الأسكندرية السرية يوم الاثنين ٢٧ أغسطس ١٩٧٣ عاد الضباط المصريون فرادى الى مقار عملهم فى حين تفرق الضباط السوريون ، ليجد كل منهم طريقاً مختلفاً الى بلاده. ذهب أحد الضباط الى جدة لتأدية العمرة قبل أن يعود الى سوريا ، وذهب آخرون الى القاهرة واستقلوا على مدى أيام متفرقة الطائرات الى دمشق. ومنهم من عاد على الخطوط الجوية السورية ومنهم من استخدم طائرة «مصر للطيران».

أما الباقون فقد عادوا بطريق البحر من الأسكندرية الى ميناء اللاذقية فى الشمال السورى.

ووصل اللواء مصطفى طلاس وزير الدفاع السورى الى دمشق، ليجتمع بالرئيس حافظ الأسد ويطلعه على تفاصيل ما تم الاتفاق عليه فى الأسكندرية. وفى اليوم نفسه كان الرئيس أنور السادات يتجه ضمن جولته العربية الى دمشق فى زيارة رسمية تبدو ضمن جولته بحثاً عن حل سلمي وأملاً فى قيام الرئيس الأسد بدور فى اصلاح الأحوال بين القاهرة وموسكو.

وحقيقة ما دار فى اجتماع الرئيسين كانت مختلفة كل الاختلاف عما ذكرته الصحف ورردده المحللون والمعلقون فى الوطن العربى وخارجه. لقد عقد الرئيسان اجتماعهما السرى بعيداً عن عدسات التصوير وكاميرات التليفزيون، وبحثا مع اللواء طلاس قرارات الأسكندرية وتوصيات القادة. واستبعد الرئيسان كل التوقيتات التى تجعل يوم (ى) أحد أيام شهر سبتمبر واتفقا على أن يبدأ الهجوم بين يومى ٥ و ١٠ أكتوبر مع ترجيح اليوم السادس من أكتوبر أو قبله بيوم واحد. واقترح الرئيس السادات فى اجتماع دمشق تخفيض فترة العد التنازلى من ٢٠ يوماً الى ١٥ يوماً فقط باعتبارها كافية لكل خطوط العمليات قبل ساعة الصفر. وتم الاتفاق على ذلك. وقدم الرئيس حافظ الأسد تفويضاً كاملاً للرئيس السادات، باعتباره القائد الأعلى للقيادة الموحدة للدولتين - مصر وسوريا - ليقوم بتحديد التوقيتات واطلاق شرارة الهجوم. وتقرر أن يكون اليوم (ى) هو السادس من اكتوبر وأن يبدأ العد التنازلى قبله بـ ١٥ يوماً أى يكون (ى - ١٥) هو الجمعة ٢١ سبتمبر ١٩٧٣م.

وعندما انعقد المؤتمر الوزارى لدول عدم الانحياز صدرت التعليمات من وزارة الخارجية المصرية فى القاهرة ومن وزارة

الخــارجيــة الســورية فى دمشــق الى مندوبى وممــثلى الدولتــين بالتحــدث عن السلام وعن التطلع الى حلول سلــمية تحــقن الدماء وتنقذ المنطقــة من التوتر المســتمر. وكــانت التعليمــات الصادرة للدبلوماسيــين العرب فى الأمم المتحدة والمنظمات الدولــية تسير فى هذا الاتجاه. وطلب الرئيس أنور السادات شخصياً من عدد من الزعماء العرب مــساعدة دبلوماسية فى هذا المجــال باعتبار الحل السلمى هو المــمكن الوحــيد. ورغم تحــفظ بعض الدبلومــاسيــين المصريين على هذا الأسلوب، الا أنهم التزمــوا بما صدر اليهم من تعليــمات دون أن يتبــادر الى ذهن أحد منهم أنه يــقوم بدوره فى خطة خداعية متكاملة.

وتقدمت احدى الشركــات الأمريكية بمشروع اتفاقــية بترولية مع مصر تقضى بانشاء خط أنابيب للبترول يبدأ من داخل ميناء الأدبيــة على خــليج الســويس. ووافــقت مـــصـــر ووقــعت أوراق المشروع وصادقت على العقــود. وكان ذلك مؤشراً على أن مصر تتــوقع فتــرة سلام طويلة، لأن مــوقع المشــروع يدخل في بؤرة دائرة العمليات العسكرية في حالة نشوب أية عمليات قتالية.

وفى منتصــف ســبتــمبر - وقــبل أن يبدأ العد التــنازلى للحرب بستــة أيام - وقعت معــركة جوية فــوق الأرض السورية تورطت فيــها الأسراب الســورية. وأسفرت هذه الــمعركــة المشئــومة عن ســقوط ١٢ طائرة ســورية. وكــان رد الفــعل الطبــيعى أن تقــوم سوريا بعــمل ما لرد هذه الضربة. وقــد حشد الســوريون بالفعل قواتهم في مواجهة العدو مما جعل اسرائيل تستنتج أن الهدف هو الرد على هذه الضــربة بعــملــيــة مــحدودة. لكن الأمــر تحــول الى تحركات مدروسة ضمن خطة الحشــد الرئيسى للحرب الهجومية.

واستوجب ذلك تحـركات مماثلة مـحدودة على الجبهـة المصرية. ولكن الأيام مرت دون أن يقع شـىء مـما توقعتـه اسرائيل. وبات راسخـاً فى الوجدان العـسكرى الاسرائيلى أن سوريا قـد ابتلعت الضربة ووقفت عاجزة عن الرد.

وأصـبحت هذه الواقـعة أحـد عناصر الخـداع التى تؤكد عـدم القدرة العربية على القـيام بأعمال هجومية. فـضلاً عن أنها كانت تغطية ناجحة للتحركات السورية.

وعلى الجبهـة المصرية تحولت التحركـات العسكرية الى جزء من الاعداد للمشروع التدريبى الذى عرف باسم مناورات «تحرير ٢٣» والذى سمح باسـتدعاء بعـض قوات الاحتـياط ليتـسنى لها الاشتراك فى المشروع التدريبى. وكـانت الاشارات المفتوحة بين القوات تكمل الصورة الخداعية التى كان العدو ضحية لها.

وقد استراحت الدوائر الاسرائيلية كثيراً لما انتهت اليه قناعاتها من أن العـــرب غـــيـــر قـــادرين على الهـــجـــوم ، وأن مناورات «تحرير ٢٣» لـيست ذات بال ، وأن السـوريـين قد استكانـوا بعد سقوط ١٢ طائرة لهم فى مـعركة جوية واحدة ، ولم يعـد أمامهم سـوى التحـركات العـسكرية التظاهرية التى ليس وراءها سـوى انقاذ ماء الوجه ظاهرياً.

ورسخ ذلك فى الوجـدان العـسكرى الاسـرائيلى خـاصـة أن الكثير من القضايا الساخنة كانت تجذب انتباهه وتستنزف جهوده داخلياً وخارجياً.

.. على الصعـيد الخارجى بدأت اسرائيل مع بداية أكـتوبر ٧٣ تواجه مشكلة كبيرة ترتبت على قـيام الحكومة النمساوية بإغلاق

معسكر استقبال المهاجرين اليهود فى منطقة «شنو» وكان هذا المعسكر يستقبل يهود الاتحاد السوفيتى وينظم نقلهم الى اسرائيل. وتعرض القطار النمساوى الذى ينقل المهاجرين السوفييت الى المعسكر لهجوم فدائى فلسطينى أسفر عن اختطاف عدد من الرهائن.

وباغلاق هذا المعسكر تفجرت مسائل دبلوماسية وسياسية فى مواجهة اسرائيل تكاملت معها حملات اعلامية عربية وعالمية ضد السوفييت واسرائيل معاً. واستوجب ذلك قرار الحكومة الاسرائيلية سفر رئيسة الوزراء للاجتماع مع المستشار النمساوى فى فيينا. وكان ذلك قبل مولد الحرب بأيام لتعود من رحلتها قبل الحرب بساعات.

وعلى الصعيد الداخلى كانت الاستعدادات لانتخابات الكنيست البرلمان الاسرائيلى ـ على أشدها، فقد كان من المقرر أن تجرى عملية التصويت فى نهاية أكتوبر ٧٣.

وعلى الصعيد العسكرى جرت قبل ذلك تنقلات وتعيينات عكست الصراعات الخفية داخل المؤسسة العسكرية فى اسرائيل وكان أفضل ما أسفر عنه ذلك هو ابعاد الجنرال «ياريف» عن ادارة المخابرات العسكرية الاسرائيلية وتعيين الجنرال «زائيرا» بدلاً منه. وكان «زائيرا» من المؤمنين باستحالة عبور قناة السويس بأى قوات عسكرية مهما بلغ حجمها ومهما كان تسليحها.

وقد أمضي «زائيرا» فى موقعه فترة كافية قبل بداية العبور، مما جعل ايمانه باستحالة الحرب ينعكس على معظم العاملين معه

من ضباط المخابرات العسكرية الاسرائيلية.

وساعد ذلك كثيراً على تورط العدو الاسرائيلي فى استنتاجات خاطئة بشأن التحركات التى كانت تجرى غرب القناة. لقد رآها العدو.. لكنه أبداً لم يفهمها.

كانت القوات تتحرك أثناء الليل فى اتجاه الجبهة. وكانت بعض عناصرها تسحب نهاراً ثم تعود ليلاً الى مواقعها المجهزة والمعدة لها والتى انسحبت منها صباحاً. وكانت حشود المدفعية والدبابات تتخذ ستاراً وراء الكتل الرملية والسد الترابى الذى اتخذ شكل الاستحكامات الدفاعية في مواجهة الضربات الاسرائيلية. وكانت الاشارات اللاسلكية المتبادلة بين الوحدات العسكرية المتحركة تدخل جميعها فى اطار المشروع التدريبى «تحرير ٢٣» والاعداد لمراحله المختلفة.

وظل أسلوب الحشد العسكرى المصرى غرب القناة يلتزم بالشكل الدفاعي الذى يخدم الخطة الهجومية ويؤكد فى الوقت نفسه عناصر الخداع التعبوى للعدو. وهذا الأسلوب فى الحشد يعد من أصعب الأعمال العسكرية، وأكثرها تعقيداً فضلاً عن عدم مسايرته لما هو معروف من قبل عن العقيدة العسكرية المطبقة في مصر.

لقد كان الحشد الدفاعى عن قناة السويس يعتمد على خمس فرق مشاه وعلى فرقتين مدرعتين، بمجموع سبع فرق. وكانت فرق المشاه الخمس تتخذ مواقعها على الخط الدفاعى الأول الذى يبدأ من الضفة الغربية لقناة السويس مباشرة وبعمق عدة كيلومترات غرباً. أما باقى فرق الدفاع السبع - وهى فرقتان

مدرعتان - فقد كانت تتخذ مواقعها علي الخط الدفاعي الثاني أو النسق الثاني - كما يطلق عليه العسكريون - وتتجمع هذه الوحدات المدرعة خلف فرق المشاه الخمس على مسافة تتراوح ما بين ٢٠ و٢٤ كيلو متراً من شاطىء القناة الغربي.

وجاءت الخطة الهجومية لتعتمد على قيام خمس فرق مشاه باقتحام المانع المائي لقناة السويس طبقاً للقطاع المحدد لكل وحدة. وتم تحديد هذه القطاعات في الخطة الهجومية ضمن الحدود المقررة لكل وحدة في خطة الدفاع أي في القطاع المكلف بالدفاع عنه.

وأدى ذلك الى استبعاد تحركات كثيرة قد يستلزمها الحشد الهجومي مما يساعد على عدم استطاعة العدو رصد الأوضاع الهجومية للقوات المصرية، واستمرار قناعته بالموقف الدفاعي المصري.

ويكتمل هذا الخداع بالتعديل الذي تم ادخاله على نظم التعبئة واستدعاء الاحتياط وتكرار عمليات الاستدعاء مرات عديدة يعقبها تسريح من تم استدعاؤهم.

ولم يكن من الصعب على العدو أن يرصد استدعاء الاحتياط في مصر وكل أشكال التعبئة. وهو ما كان يقوم فعلاً برصده وتحليله. وقد ظلت القيادة العسكرية الاسرائيلية تتلقى معلومات كاملة عن استدعاء الاحتياط في مصر ثم تسريحهم. وخلال الأشهر العشرة التي سبقت الحرب رصدت القيادة الاسرائيلية ٢٢ استدعاءً لقوات الاحتياط المصرية.

ووجد ذلك ردود فعل سريعة لدى العدو الذي كان يبدأ في

وضع خطة التعبئة الاسرائيلية موضع التنفيذ ويشرع في تنفيذ الحشد ليسفر ذلك فى النهاية عن لا شىء.

ويصف وزير الدفاع الاسرائيلى - موشى ديان - هذا السيناريو بأنه «اللعبة المصرية المفضلة». ويقول: ان لعبة استدعاء الاحتياط أصبحت اللعبة المفضلة لدى المصريين لأنهم يعرفون أن القوات الاسرائيلية الضاربة تعتمد بصورة أساسية على الاحتياط وأن تعبئة قوات الاحتياط فى اسرائيل تكلف الميزانية ملايين الدولارات فى كل مرة ويؤدى الى شبه شلل كامل فى الحياة المدنية حتى تكاد الشوارع ومواقع العمل تخلو من الناس ومعهم معظم سيارات النقل العاملة في القطاعات المدنية.

ويؤكد هذا المعنى نفسه الجنرال زائيرا - مدير ادارة المخابرات العسكرية الاسرائيلية الذى تولى هذا المنصب بعد الجنرال ياريف - ويعبر الجنرال زائيرا عن رفضه لاستدعاء أى قوات احتياط اسرائيلية كرد فعل للتعبئة المصرية قائلاً: «إننا نرفض الرقص فى كل مرة على أنغام المصريين».

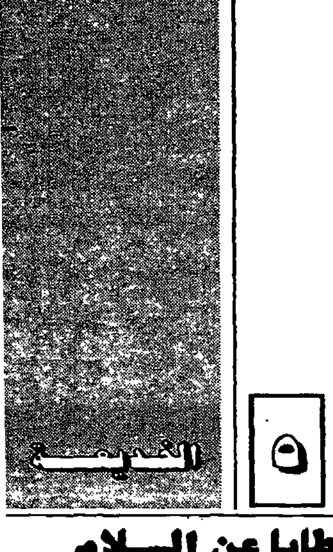
ولم يعد الاسرائيليون يأخذون ما يجرى فى مصر مأخذ الجد وتميزت ردود أفعالهم بالتردد حتى انهم لم يتحركوا أمام الاستدعاء رقم (٢٠) لقوات الاحتياط فى مصر والذي تم قبل بدء مناورات الخريف. وتكرر ذلك أكثر من مرة خاصة مع الاستدعاء رقم (٢٢) الذى سبق المشروع التدريبى المصرى المعروف باسم «تحرير ٢٣» وأعقبه بعد ذلك الاستدعاء رقم (٢٣) لقوات الاحتياط المصرية الذى كان يبدو بصورة أقل جدية وبأنه مجرد

استدعاء للتدريب المعتاد وضمن «اللعبة المصرية المفضلة» حسب تعبير الوزير الاسرائيلي.

وكان هذا الاستدعاء المصرى يحاط بالكثير من اجراءات التعمية والخداع مثل فتح باب سفر العسكريين للخارج وتنظيم مسابقات ثقافية ودينية لأفراد القوات المسلحة ورصد جوائز مالية كبيرة لحفظ القرآن بين الجنود واعداد رحلات متتالية لأداء العمرة للضباط والجنود، تم تحديد مواعيدها طوال شهر رمضان ١٣٩٣هـ دون أن يعرف أحد أن العد التنازلى للحرب سيبدأ قبل بداية رمضان وأن اقتحام قناة السويس سيتم قبل العاشر من رمضان.

وفى هذا المناخ العام تم الاستدعاء رقم ٢٣ وكان هو استدعاء حرب أكتوبر ١٩٧٣م.





السادات يلقى خطابا عن السلام بعد أن بدأ العد التنازلى للحرب

- القوات البحرية بدأت الحرب قبل خمسة أيام من موعدها
- وحدات المهندسين ابتكرت
- خلطة لإصلاح المطارات وألواح صلب لترميم الطرق
- وزير خارجية مصر يلتقى بوزير خارجية أمريكا
- وهو يجهل أن الحرب ستبدأ غداً



كان الدكتور عبدالهادى هو أول من هبط من سلم الدرجـــة الأولى بالطائـرة «تى. دابليـــو. ايه» TWA القادمة من نـيويورك. ووجد فى استقـباله عند سلم الطائرة شاباً فى الحلقة الثالثة من عمره يرتدى بذلة بنية ويستقبله بابتـسامة دافئة رغم أن هذا هو اللقاء الأول بينهمـا. ولم يكن ظلام التاسـعة مسـاءً ليحـول دون تعرف الشاب على الدكتـور عبدالهادى الذى شاهـد صورته قبل لحظات من وصول الطائرة.

وخرج الدكـتور عـبدالهادى برفـقة الشـاب الذى استقـبله من صالة كبار الزوار بمطار القاهرة ليسـتقل سيارة «فيات –١٣٠٠» من تجميع شركة النصر المصرية موديل ٧٣ وهو آخر موديل تم انتاجـه من هذه السيـارة. وبعد دقائق مـرقت السيـارة من مدخل استـراحة القوات المسلحـة للمدنيين بطريق صـلاح سالم، لتلحق بهما سـيارة أخرى تحمل الحقيـبة الوحيدة التى جاء بهـا الدكتور عبدالهادى من أمريكا.

وفى الموعد المـحدد للقاء الدكتور عبدالهـادى مع رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة المـصرية ،وجد الضيف ثلاثة رجال

فى انتظاره منذ الثامنة والنصف صباحاً فى مبنى القيادة بمدينة نصر، ليكتمل عددهم خمسة داخل الغرفة الملحقة بمكتب رئيس الأركان، وكان هو أول المتحدثين.

قال إن الدكتور عبدالهادى عالم مصرى كبير يحمل الجنسية الأمريكية ويعمل أستاذاً فى جامعة أوكلاهوما بالولايات المتحدة الأمريكية ويتطلع إلى المشاركة فى تدعيم قواتنا المسلحة بأحدث الأبحاث العلمية التى يمكن أن تعاوننا فى معركتنا. ولم يكن أحد يعرف أن ادارة المخابرات الحربية قد أرسلت تقريرا من بضعة أسطر إلى رئاسة الأركان قالت فيه إن الدكتور عبدالهادى على صلة وثيقة بأجهزة المخابرات المركزية الأمريكية التى تحرص على توثيق علاقاتها بكل الباحثين فى الجامعات الأمريكية ومنهم الدكتور عبدالهادى. ولم يكن ذلك يعنى تشكيكاً في ولائه لمصر كما لا يعنى الاطمئنان اليه اطمئناناً كاملاً.

قال رئيس الأركان إن الدكتور عبدالهادى أرسل إلى القيادة المصرية يخبرها عن اختراع نظام جديد يمكن بواسطته اكتشاف المعادن والسوائل تحت سطح الأرض بواسطة معدات خاصة يمكن تركيبها فى الطائرات. وقد استخدمت بعض شركات البترول هذه التجهيزات في البحث عن البترول ، وأطلقت على ذلك اسم «الاستشعار عن بعد» وان تلك الوسائل الحديثة جداً يمكن استفادة القوات المسلحة المصرية منها فى الكشف عن الدبابات والعربات المدرعة التى يتم اخفاؤها وتمويهها. وتعتمد النظرية على أن درجة الحرارة التى تعكسها المعادن تختلف عن غيرها،

وبالتالى يسهل بهذه الأجهزة الحديثة اكتشاف حجم وموقع المعدات المختفية. وأبدى الدكتور عبدالهادى استعداده للعمل مع العلماء المصريين لتزويد بعض طائراتنا بهذه الأجهزة، مساهمة منه فى الاعداد لحرب تحرير سيناء.

وتم الاتفاق خلال الاجتماع على خطة عمل تستغرق خمسة أشهر اعتباراً من شهر يولية ٧٣ ، ولتكون أجهزة الاستشعار عن بعد جاهزة ضمن تجهيزاتنا للعبور خلال الشهور الأولى من ١٩٧٤م.

وتم بالفعل الأخذ بهذه الخطة. وعاد الدكتور عبدالهادى إلى أمريكا ليعمل باجتهاد وقد رسخ في وجدانه وتأكد لديه أن حرباً لن تنشب قبل نهاية عام ١٩٧٤م. لكنه فوجىء مثل غيره بالهجوم المصرى ــ السورى يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣م.

واذا كانت خطة تزويد قواتنا بوسائل الاستشعار عن بعد قد تمت بعد معركة ٧٣ بشهور طويلة، فان سائر التجهيزات ومعدات العبور كانت جاهزة قبل الحرب بفترة كافية. وكان من بينها ما حقق مفاجآت بالغة للعدو فى اطار خطة الخداع. ومن هذه الاستعدادات والتجهيزات اللواء البرمائى الذى لم يعرف عنه العدو شيئاً الا بعد أن عبر هذا اللواء البحيرات المرة ليفاجىء العدو من الشاطىء الشرقى للبحيرات.

وعندما صدر قرار تشكيل هذا اللواء فى بداية عام ٧٢ جاء فى حيثيات القرار أن الهدف من هذا اللواء هو دفعه في عمق العدو عبر البحيرات أو من البحر وتكون مهمته شل مراكز قيادة العدو

أو ارباكها وتعطيل تقدم الاحتياطيات من خطوط العدو الخلفية في طريقها لمواجهة قواتنا بعمليات هجوم مضاد.ووضعت القيادة العامة هذا اللواء ضمن خطة الخداع والمفاجأة. لقد كان من المقرر أن المعديات ستقوم بنقل الدبابات من غرب القناة إلى الضفة الشرقية طبقاً لجداول توقيتات تجعل هذه الدبابات غير مستعدة للعمل والقتال قبل الساعة: س + ٥ (أى بعد ساعة الصفر بخمس ساعات) في حين يستطيع اللواء البرمائى عبور البحيرات في أقل من ساعة واحدة ، وبأعداد كبيرة من الدبابات والعربات مما يشكل تهديداً خطيراً لقيادات العدو واحتياطياته المتحركة.

ووضعت خطة تدريب اللواء البرمائى على هذا الأساس. وعكف أفراده على التدريب لشهور طويلة. وشملت عمليات التدريب عبور برمائيات لنقل قوات من المشاه الميكانيكية وبأسلوب عمل الوحدات الخاصة.

وفى ليلة ١٨ ـ ١٩ يولية ٧٣ تم الاختبار النهائى لقدرات هذا اللواء فى منطقة التدريب غرب الأسكندرية وبقي فى مياه البحر لأكثر من خمس ساعات، ونجح فى الابرار على الشاطىء والتقدم براً لتنفيذ مهمته في صد وعرقلة القوات المعادية المتقدمة من العمق. ولأن العملية التدريبية كانت أشق كثيراً من المهمة القتالية التى سيواجهها هذا اللواء ، فقد أسفر التدريب عن خسارة مركبتين وفقد عشرة أفراد تم العثور على سبعة منهم فى الصباح وتأكد استشهاد ثلاثة. وهكذا قدم اللواء البرمائى أول شهداء

العبور قبل المعركة بأكثر من ستة أشهر، لكن خسائره في عملية العبور الحقيقية كانت فرداً واحداً.

وكانت التشكيلات الجدية التى تم تكوينها قبل الحرب تمثل مفاجأة بالغة للعدو بالاضافة إلى تجهيزاتها غير المتوقعة. وكما تم تشكيل اللواء البرمائى الذى فوجىء العدو به وراء خطوطه كانت هناك وحدات مهندسين جديدة انضمت إلى الوحدات الأصلية في كل التخصصات.

وكانت هذه الكتائب مجهزة بمعدات مستحدثة كما كان بعضها يعمل بوسائل بدائية استخدمتها الجيوش فى العصور الوسطى مثل سلالم الحبال التى صعد عليها جنود المشاه وتسلقوا بها الساتر الترابى، ومثل عربات يد بدائية تتحرك على عجلتين يحمل عليها الجنود معداتهم التى لا تتحملها ظهورهم. وتم تصنيع هذه العربات فى مصانع ادارة المهمات المصرية.

وكانت المفاجأة أكبر من أن يستوعبها العدو الذى خدع نفسه قبل أن يخدعه الآخرون. ووضح ذلك في اجتماع ادارة العمليات الاسرائيلية فى سبتمبر ٧٣ عندما عكف قادة العدو على دراسة عمليات استدعاء الاحتياط المصرى ثم تسريحه، وارتباط ذلك بتحرك وحدات متعددة غرب القناة مع ظهور عربات كبارى ومعدات عبور موانع مائية ضمن مهمات وتجهيزات القوات المصرية غرب القناة.

وفى ذلك الاجتماع درس القادة الاسرائيليون احتمالات الحرب، ومدى الاحتياجات الهندسية لاتمام عملية عبور محدودة.

وتحدث الجنرال اليعازر عن الاحتيـاجات الهندسية للمصـريين من أجل عـملية عـبور مـحدودة فـى قطاعات مـعينة ـ وقـال إن هذه الاحتـياجـات لا تتوافر لأى جـيش فى العالم. وأكـد ذلك الجنرال « مـوشـى ديان » وزير الدفـاع الاســرائيلى قــائلاً : « اذا أراد المـصريون عـبـور قناة السويس فـيلزمـهم سـلاح المهندسـين الأمريكى وسلاح المهندسين السوفيتى ـ مـجتمعين ـ لمساعدتهم على ذلك».

وهذا الكلام الذى تردد فى اجـتمـاع القادة الاسـرائيليين قـبل العبور بأسابيع قليلة عكس ثقة الجنـرال « اليعازر » يومها، وجاء ذكره فى يومياته التى نشرها بعد معركة العبور بعدة أشهر.

وفى هذا الاجتـماع أشاد كبار الضـباط الاسرائيليـين بمعدات قذف كميات كبيـرة من السوائل الملتهبة من تحت سطح الماء فى القناة لتطفـو فوق السطح ويتم اشـعالها لتـتحول القـناة إلى بحر من اللهب. وتعرضـوا للآثار النفسيـة الكبيرة لذلك بالاضـافة إلى عجز الأفراد عن العبور فوق نيران مشتعلة.

وبينما كان هذا الحـديث يدور فى قاعة الاجتماعـات الرئيسية بوزارة الدفـاع كان ضـبـاط هيـئة العـمليـات المـصرية يعـدون للمفاجآت المضادة التى تكمل خداع العدو الذى خدعه اطمئنانه.

كان التصور الأول لمواجهة النيران المشتعلة فوق سطح القناة هو نزول وحـدات صغـيرة من الأفراد داخـل مركبـات برمائـية. وينتشر الأفراد على أجناب كل مركـبة ويحمل كل فرد واحدة من سـعف النخل المـعـروف باسم «الجـريد» ليـضرب بهـا النيـران

المشتعلة حتي تتحول الي جزر من اللهب يسهل اطفاؤها. وفشلت التجارب. ولم ينجح الجنود أثناء التدريب فى مواجهة النيران بسعف النخل رغم أن كميات السوائل المشتعلة كانت أقل من المتوقع مواجهته خلال العبور الفعلى. وتم اعادة التجربة باستخدام مواد اطفاء كيماوية. واستلزم ذلك جهداً ووقتاً جعل العمليات تتحول من معركة عسكرية، وعبور لمانع مائى صعب إلى عملية اطفاء حريق أشعله العدو فوق القناة وحاولنا نحن أن نطفئه.

وعلى ضوء نتائج هذه التجارب المتكررة تقرر أن تكون الخطة هى حرمان العدو من استخدام هذا السلاح الجهنمى مع خداعه وايهامه بصلاحية هذا السلاح ومفاجآته بتجهيزات معطلة تُخرج سلاح الحريق من المعركة قبل بدايتها.

وتم عقد اجتماع ضم قائد القوات الخاصة وقائد الضفادع البشرية ومدير سلاح المهندسين وأحد ضباطه ومدير التخطيط بهيئة العمليات. وتم فى هذا الاجتماع استعراض كل التجارب والمحاولات المعدة لمواجهة اشعال العدو للحرائق فوق سطح القناة ونتائج التجارب التى أُجريت فى أكثر من موقع ، وتم خلالها استخدام عشرات الأطنان من السوائل المشتعلة التى تمثل نوعاً من أنواع النابالم ـ أقل كثافة من مياه القناة ـ لضمان الطفو فوق السطح.

وتقرر وقف كل محاولات اطفاء الحريق والتركيز على حرمان العدو من فرصة استخدام هذا السلاح.

وعلى ضوء المعلومات المتوافرة من الاستطلاع وادارة المخابرات، شرح ضابط المهندسين تفاصيل التجهيزات التى يعتمد عليها العدو، والتى تتكون من ثلاثة أجزاء.. هى خزانات تحت مواقعه الحصينة يسع كل خزان منها ٢٠٠ طن من المواد المشتعلة. والجزء الثانى أنبوبة تصل بين هذه الخزانات وسطح مياه القناة. وأخيراً معدات السيطرة التى تتولى فتح خزانات «النابالم» واشعالها. ولو تم افساد أى جزء من تلك الأجزاء الثلاثة فان العدو سيفشل فى خطته. واستبعد المجتمعون امكانية تدمير الخزانات بواسطة المدفعية لأنها مدفونة جيداً فى الرمال، ومعها أنابيب نقل السائل إلى القناة المدفونة أيضاً تحت سطح الأرض. لكن فتحات هذه الأنابيب كانت ظاهرة تحت سطح الماء وكانت قواتنا تراها بوضوح من غرب القناة عندما يكون هناك «جزر» وينخفض مستوى سطح الماء فى القناة. وأصبح الحل هو سد هذه الفتحات قبل العبور ، خاصة أن أماكنها محددة لدينا وهناك صور لها بين أيدينا، بالاضافة الي معلومات تفصيلية قدمها المهندس الاسرائيلى الذى استطاعت دورية خطف أسير مصرى والعودة به من شرق القناة.

وتم وضع الخطة من ثلاث مراحل. المرحلة الأولى : ارسال وحدات خاصة من الضفادع لعبور القناة من تحت سطح الماء والقيام باغلاق الفتحات وسدها قبل أول ضوء من اليوم (ى) وهو يوم العبور. والمرحلة الثانية: هى وضع هذه الخزانات ضمن أهداف تحضيرات المدفعية على أمل النجاح فى ضربها. والمرحلة الثالثة: تكون فى بداية المعركة بحيث تظل نقاط عبور القناة فوق

اتجاه التيار عند كل خزان حتى اذا نجح العدو فى استخدام هذا السلاح فان النيران تظل متجهة بعيداً عن الموجات الأولى من عبور الأفراد. وفى جميع الأحوال يتم تأخير نزول الوحدات إلى الماء لفترات تتراوح ما بين ٢٠ و٣٠ دقيقة بعد ظهور اللهب فوق الماء وتحاشى تأثيرها حتى ينتهى أثرها.. أو تجاهلها فى حالة ضعف تأثيرها.

وقد تحقق النجاح خلال المرحلة الأولى من الخطة ، واستطاعت القوات الخاصة اغلاق الفتحات وسدها. وكان ذلك مفاجأة من مفاجآت خداع العدو، مثلما فاجأته مراحل تعبئة القوات وخطة تحريك معدات العبور.

لقد تم تطوير خطة استدعاء الاحتياط حتى أن حوالى ٨٠٪ من الأفراد الذين يتم استدعاؤهم يصلون فى اليوم الأول للاستدعاء وخلال الشهور العشرة الأولى من عام ٧٣ تم تنفيذ ٢٢ عملية استدعاء لقوات الاحتياط المصرية. وكان الاستدعاء رقم ٢٣ هو استدعاء للحرب تم فى اطار استدعاء خداعى باعتباره استدعاء للاشتراك فى العمليات التدريبية لمناورات «تحرير ٢٣» التى تحولت إلى «بدر» وهو اسم الخطة الهجومية لعبور القناة.

واتفق واضعو خطة الهجوم على أن يتم العبور بطول قناة السويس وعلى امتداد ١٧٥ كيلو متراً لأن ذلك سيؤدى إلى اضعاف أو تجميد مصادر تفوق العدو. ويساعد على خداعه بحيث لا يستطيع اكتشاف الاتجاه الرئيسى لقوات الهجوم ويحرم اسرائيل من تركيز جهود قواتها الجوية فى اتجاه محدد مما

يضعف كثيراً من تأثير النشاط الجوى المعادى، ويضطرهم إلى شن الهجمات المضادة على جبهة متسعة فى وقت واحد كما سيؤخر ردود الفعل لدى العدو حتى يكتشف اتجاه المجهود الرئيسى المصرى. وهذا معناه ارتباكه وتأجيل ضرباته المدرعة واتاحة مزيد من الوقت أمام القوات المصرية التى تعبر القناة.

ومع بداية العد التنازلى لليوم (ى) كانت الوحدات الضاربة تنتشر فى مواقعها بطول القناة. وكانت معدات العبور والجسور والكبارى تتحرك من الغرب إلى الشرق نحو الجنوب ونحو الشمال. ورغم أن ذلك يمثل التزاماً بالخطة الموضوعة، لكنه أيضاً كان يشكل استمراراً في الخداع. وبات العدو متأكداً من أن ما يجرى لا يمكن أن يكون اعداداً لحرب شاملة بطول جبهة تمتد لأكثر من ١٧٠ كيلومتراً، وانما هو تدريبات لكل الوحدات المصرية المشاركة في مناورات «تحرير ٢٣» لأن ما يتوافر من تجهيزات ومعدات العبور قد يتيح امكانية العبور من محور رئيسى أو محورين وهذا يتعارض مع كل ما يجرى غرب قناة السويس.

وهذا ما تداوله المجتمعون فى قيادة الجيش الثانى بالقطاع الأوسط من قناة السويس وفى قيادة الجيش الثالث الميدانى بالقطاع الجنوبى من القناة. لقد لاحظوا أن العدو يعرف تحركاتهم ويتابعها. لكنه بالتأكيد لا يفهم معناها.

وكان ذلك وراء الكلمات التى رددها الرئيس أنورالسادات في خطابه في اليوم (ى ـ ٨) أى قبل الحرب بأسبوع واحد وحرص

خلاله على تحمل نصيبه فى خداع العدو.

فى ذلك اليوم احتـفلت القوات المسلحة بذكـرى الرئيس جمال عبدالناصر. وذهب كل القادة وكبار الضـباط فى الصباح، ليضـعوا أكالـيل الزهور على قبـر الزعيم الراحل وقـراءة الفاتحـة. وتوالى ظهور القـادة أمام عدسات التـصوير فى احتـفالات مـختلفـة منها توزيع الجوائز على حفظة القرآن الكريم من أبناء القوات المسلحة وتوديع الفـوج الأول من أبناء القوات المـسلحة الفائزيـن بجوائز عمرة رمضـان.

وكان هذا يبـدو وكأنه عدم جـدية من كبار القـادة فى الإعداد للمناورات التدريبية التى عرف الجميع أنهـا ستجرى فى الفترة ما بين أول أكتوبر وحتى ٧ أكتـوبر ١٩٧٣ في حين أن عدداً محدوداً جداً من الأفراد كانوا يعرفون أن يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣ سيكون هو (ى + ١) أى اليوم الثانى من الحرب.

وكمـا ظهر كبـار القادة أمام عـدسات المـصورين وكامـيرات التليفزيون يحتفلون بالجوائز ويزورون قبر عبدالناصر، فقد كانوا جـميعـاً أمـام العدسـات وتحت الأضـواء فى احـتفـال الاتحـاد الاشتراكى بهذه المناسبـة والذى أقيم فى المساء. ووقف الرئيس أنورالسـادات يتـحـدث عن المـشكلات الـتى ورثهـا وعن البنيـة الأسـاسيـة التى يعيـد بناءها والمـرافق المـتهـالكة التى لابد من تجديدها. وتحدث بتركيز عن اعادة بناء القوات المسلحة وحرصه على سلامتها وعدم خوض مغامرة عسكرية قبل أن يوفر المعدات الحديثة لأبنائه المـقاتلين. وردد العبارة العجـيبة التى أدهشت كل

المحللين ومنهم ـ أو أولهم ـ المحللون الاسـرائيليون وهي عبارة «لن أدفع بأبنائي إلى الحرب قبل أن أضع الالكترون في أيديهم».

وعجـز عبـاقرة التحليل عن تـصور الواقع على حقـيقـته. ولم يخطر على بال أحـد في اسرائيل أن هذه الكلمـات يرددها الرئيس المـصرى في اليـوم (ى ـ ٨) ليلة السـبت الذى ستنطلق شـرارة الحرب يوم السبت الذى يليه.

وعقب هذا الخطاب خرج الضـباط ليتجهوا إلى مـقار قياداتهم، واتجه كـبار القـادة إلى مركز القـيادة العـامة في نقطة العـمليات الرئيسية التي تعرف باسم «المركـز رقم ١٠» لمتابعة حركة العد التنازلـى الى أن يحل اليـوم (ى) الذى سـيـنضم فـيـه الرئيس السـادات اليهم.

وبدأت التمامات تصل من كل مكان..

وجاء التمام بوصـول وحدات اصـلاح الممرات الي كل القواعد الجـوية مـزودة بالخلطة الجـديـدة التي توصل اليـهـا الـعلمـاء المصـريون. وهذه الخلطة بدأ إعدادها داخل معـامل وزارة البحث العلمي بالاشتراك مع سلاح المهندسـين منذ ستة أشهر، توصلوا بعدها الي مـزيج من الأسفلت والأسمـنت سريع التصلب بنسـبة معـينة. وهذه الخلطة ثبت نجـاحهـا في اصلاح ممـرات الطائرات بسرعـة قياسـية يسترد بها المطار كـفاءته عند قصف المـمرات بواسطة طائرات العـدو مما يتـيح لطائراتنا الانطلاق بينمـا العدو يتصور أنه أخرج هذه القاعدة من المعركة لمدة يوم كامل.

وأبلغت فـرق التعامل مـع القنابل الزمنية والشـراك الخداعـية

بوجودها فــى المواقع المحــددة لها بمــا فى ذلك المطارات. وهذه الفرق مزودة بأجهزة متقدمة للتعامل مع القذائف والقنابل التى لم تنفجر ومـعها أوامر مســتديمة بالتعامـل الفورى مع هذه القذائف والقنابل المـوقـوتة لإبطال مـفعـولهـا دون تفجـيـرها أو انتظار انفجارها. ولم يعـبأ أحد بالخطر الذى يتوقعه نظراً لاعـتماد العدو على الأثر النفسى للقذائف الموقوتة والشــراك الخداعية. واستطاع رجال هذه الفرق تجاوز كل الآثار النفسية بروح فدائية.

وتلقت القيــادة ما يفيـد وصول فرق اصــلاح الطرق إلى نقاط تمركـزها، ومعهـا ألواح الصلب التى تم ابتكارها للاستـخدام فى اصلاح الطرق التى تتـعرض للقذف الجـوى أو لقصـف المدفعـية، كمــا تم الابلاغ عن وصول وسائل التـحرك من نقاط تمـركز هذه الفــرق الي أى مكان يحتــاج إلى اصلاح الطريق منه واليـه. ويبلغ مجموع أطوال هذه الطرق التى تغطيها فرق الاصلاح ٢١٠٠ كيلو متر تمــتد شرقاً وغرباً وجنوباً وشمــالاً بما يزيد ثلاثين مرة على طول قناة الســويس نفســها.وصــدرت الأوامر بتـحريك المــعدات ومهمــات العبور فى اتجاه نقاط العـبور لتكون جاهزة للنزول إلى الماء مع الساعة صفر.

وتلقت القــيــادة الرقم النهــائى بوجــود ٢٥٠٠ قارب جــاهزة لحــمل الأفــراد إلى الضــفة الشــرقــيــة ونصف هذه القــوارب تم تصنيعها محلياً وتم استــيراد النصف الآخر من الاتحاد السوفيتى على مراحل.

وخــرجت من المــخــازن وورش المهــندسين ســلالم الحــبــال

وزلّأقات الصاج لتكون فى أماكنها بين أيدى الجنود.

وشملت التـمامات الصاعـدة من قيادة إلى أخرى الانتـهاء من نقل المدافع الخـفيفـة المضادة للـدبابات والرشاشات المـتوسطة والرشـاشــات المـضــادة للطائرات وصناديق الذخـيـرة وسـائر الأسلحة والمعـدات التى ستنقل إلى الضفة الشرقـية للقناة خلال الساعات الأولى للمعركة.

واتخـذت الطلمـبـات التوربينـية التى تعـمل بالوقـود العـادى مواقعـها بمعدل ثلاث طلـمبات لكل ممر سـيتم فتحـه في السـاتر التـرابى شرق القـناة ، طبقـاً لـخطة تحـرك وحـدات العبـور التى تسـاندها ٨٠ وحدة مهندسين.

وفى الساعة الـثامنة من صباح (ى ـ ٥) المـوافق أول أكتوبر ١٩٧٣ تم رفع حـالة الاستعـداد الكاملة. وصــدرت أوامر القـيادة العامة بوجود القيادات داخل مراكز السيطرة والقيادة على مختلف مستوياتها وذلك ضمن الاجراءات التى تستلزمها أغراض التدريب لتنفيذ المشروع الاستراتيجى التعبوى «تـحرير ٢٣».

وتحت ستار التدريب استمرت القوات البرية فى تنفيذ اجراءات التحضير للعملية الهجوميـة واعادة التجميع والفتح التعبوى. وتم رفع كفاءة التجهيز الهندسى لمسرح العمليات تحت ستار تحسين الدفاعات.

وبدأ فتح وحدات الأسطول المصرى من المدمرات والغواصات لتأخذ أوضـاعها الأخيـرة في القطاعات المحددة لهـا، بما فى ذلك وحدات الأسطول التى تـحركت تحت ستار الزيارة الودية للموانىء الصديقة فى الهند.

وكان هذا التحرك حلقة مهمة فى سلسلة الخداع.

لقد كان من المقرر إغلاق الطريق البحرى إلى ميناء ايلات الاسرائيلى مع بداية العمليات باعتباره الطريق الرئيسى لامداد اسرائيل بالبترول من ايران.

ولم يكن من السهل تحقيق ذلك من منطقة شرم الشيخ والمدخل الجنوبى لخليج العقبة لأنه فى يد العدو الاسرائيلى منذ عام ١٩٦٧ ويقع تحت سيطرته التامة. وكان البديل هو الاغلاق من المدخل الجنوبى للبحر الأحمر عند مضيق باب المندب جنوب اليمن. وبدأ تنفيذ ذلك تحت ستار زيارة ودية للموانىء الهندية.

وتحركت الوحدات البحرية الموجودة في السويس بعد أن أعلنت الهند عن زيارة مقررة لبعض قطع الأسطول المصرى. واتجهت القطع المصرية نحو الجنوب لتعبر باب المندب وتدخل المحيط الهندى.

وقبل بدء العمليات، وعندما حل اليوم (ى) دخلت قطع الأسطول المصرى إلى المضيق وأعلنت اغلاق الطريق البحرى إلى اسرائيل ومنع مرور ناقلات البترول المتجهة فى البحر الأحمر إلى ايلات؛ لتعويض البترول الذى تستهلكه اسرائيل خلال العمليات الحربية.

وتلقت غرفة العمليات ما يفيد اغلاق طريق امداد اسرائيل بالبترول الايرانى؛ والذى كان يصل إلى ١٨ مليون طن سنوياً يعاد تصدير بعضه إلى أوروبا. وكان ضمن بلاغات التمام الصادرة عن القوات البحرية المصرية بث الألغام فى خليج

السويس واغلاقه أمام النشاط البحرى المعادى.

وهكذا كانت الحرب قد بدأت بالفعل بالنسبة لبعض الوحدات قبل ساعة الصفر بخمسة أيام، عندما وقفت قطع البحرية قرب مضيق باب المندب جنوب البحر الأحمر، وخرجت الغواصات المصرية من قواعدها فجر اليوم الأول من أكتوبر ١٩٧٣ لتتخذ أوضاع القتال أمام سواحل سيناء.

وكانت الأوامر تقضى بفرض الصمت اللاسلكى الكامل على هذه الوحدات البحرية لحين صدور اشارات خاصة اليها - لن تصدر الا بعد ساعة الصفر.

وكان للوحدات البحرية دور رئيسى فى خطة الخداع. لقد كان عليها أن توجه ضربات مركزة من البحر إلى مراكز قيادة العدو ونقاط سيطرته شرق بورفؤاد فى بالوظة ورمانة مع تمثيل عمليات انزال من البحر يكملها هجوم خادع من معبر شمال القنطرة. وكان ذلك كفيلا بايهام العدو بأن هذا هو أحد المحاور الرئيسية للهجوم المصرى.

وكانت هناك تمثيلية مشابهة تم الاعداد لها شرق البحيرات المرة بواسطة اللواء البرمائى الذى سيعبر البحيرات ويتجه شرقاً نحو منطقة المضايق مما يوحى بوجود محور رئيسى للهجوم. ومن هذا المحور الخادع تنطلق سرية ميكانيكية برمائية مع عدد من الدبابات فى اتجاه ممر متلا، وسرية أخرى فى اتجاه مضيق الجدى؛ لتبث الذعر فى مواقع العدو وتضعف سيطرته علي قواته، وتعود بعد ذلك لتنضم إلى وحداتها الرئيسية شرق القناة.

وأبلغت قوات الصاعـقة عن تمام استعدادها للانتـقال جواً إلى عمـق العدو لعـرقلة طلائع الهجـوم المضــاد بعد اتمـام عملـيات العبور.

وبثت وكالات الأنباء من رومـانيا ومصر خبـراً عن قيام وزير الدفاع الرومـانى بزيارة رسميـة إلى مصر ـ وكان ضـمن جدول الزيارة الرســمى اجتمـاعه بوزير الحــربية المصــرى يوم الاثنين ٨ أكتـوبر ١٩٧٣ وحضور مـأدبة عشــاء رسميـة. ونشر فى كل الصــحف هذا الخبـر. ونشــرت جريدة «الأهرام» خـبراً آخـر عن تعليمات من وزير الحربية«ب» بشأن اعـداد سجل لتسجيل أسماء الضباط الراغبين فى أداء العمرة فى رمضان.

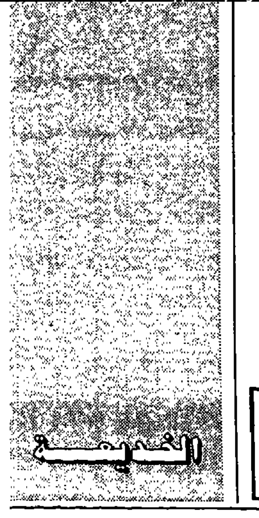
وفى نيـويورك كانت تجـرى أحداث تبـدو عـادية لكنها لعـبت دورها فى الخديعة. لقد كانت الجمعيـة العامة للأمم المتحدة تعقد جلساتها فى نيويورك، وكان وزير خارجيـة مصر ـ محمد حسن الزيات ـ يرأس وفـد مصــر فى هذه الاجتـماعـات. وتلقى الوزير المصــرى رغبـة وزير الخارجـية الأمريـكى ـ هنرى كيســنجر ـ الاجتمــاع به فى نيويورك على هامش اجتمـاعات الجمعيـة العامة يوم الجمـعة الخــامس من أكتوبر ليناقش مـعه المـوقف العام فى الشرق الأوسط.

واتخـذ الرئيس الســادات قرارا بعـدم ابلاغ وزير الخـارجيـة محـمد حسن الزيات بموعـد الهجوم المـصرى وتكليفه بمناقـشة المبادرات السلمـية المتوقعـة مع وزير خارجية أمـريكا ومحاولة

اقناعه ببذل المزيد من الجهد فى سبيل الحل السلمى.

لكن التفاؤل بنجاح خطة الخداع لم يكن كاملاً.

وظهرت علامـات وبوادر وتحركـات تشـير إلى أن اسـرائيل تعـرف أن الحرب على وشك أن تندلع وأن المـصريين اسـتعدوا لعبور القناة.





خطة الخداع فى أكتوبر بدأتها مصر فى مايو

- مصدر عربى أيقظ رئيسة وزراء إسرائيل ليخبرها بموعد الهجوم المتوقع
- توقف رحلات مصر للطيران هدد بانهيار خطة الخداع المصرية
- إسرائيل شعرت بالخطر يوم ترحيل أسر السوفييت من مصر وسوريا
- مصر تعلن عن هجوم إسرائيلى على الزعفرانة قبل الحرب بنصف ساعة



عندما هبطت طائرة جولدا مائير فى مطار بن جوريون مساء يوم الثلاثاء الثانى من أكتوبر ١٩٧٣ قادمة من فيينا ، وجدت رئيسة الوزراء فى انتظارها تقريراً يتضمن تفاصيل المعلومات التى سبق إبلاغها بها خلال زيارتها للنمسا.

كان الهدف من التقرير اقناع رئيسة الوزراء بمناقشة فكرة استدعاء الاحتياط الاسرائيلى. وكانت هى فى قرارة نفسها تعارض الفكرة من أساسها دون أن ترفض فكرة المناقشة. وكان شاغلها الأول فى هذا اليوم هو قرار المستشار النمساوى الدكتور برونو كريسكى اغلاق مركز استقبال المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفيتى والمقام فى قلعة «شونو» قرب فيينا والتى ينتقل منها المهاجرون اليهود بالاتوبيسات إلى المطار ليستقلوا طائرات شركة «العال» إلى إسرائيل.

وفى النمسا كانت جولدا مائير قد استقبلت حامل التقرير الوزير «يزرائيل جاليلى» يوم الاثنين أول أكتوبر وقال لها: إنه اجتمع مع موشى ديان وبحث معه ضرورة مناقشة الموقف فى الجولان. وأكدت جولدا مائير انها ستفعل ذلك فور وصولها فى الغد إلى تل أبيب.

لكن الاجتماع انعقد صباح الأربعاء ٣ أكتوبر. ولم يخطر ببال أحد من المجتمعين أن هذا هو اليوم (ى - ٣) أى قبل الحرب بحوالى ٧٠ ساعة.

ضم الاجتماع وزير الدفاع موشى ديان والجنرال ديفيد إليعازر رئيس أركان القوات الإسرائيلية الشهير بلقب «دادو» ويزرائيل جاليلى وزير الدولة ومستشار رئيسة الوزراء والجنرال إلى زائيرا مدير المخابرات الحربية (لوكادرا) ولم تستطع رئيسة الوزراء جولدا مائير تجاهل الحديث عن رحلتها الفاشلة إلى النمسا وقالت إن الهجوم الذى شنه الفلسطينيون على القطار النمساوى الذى ينقل المهاجرين اليهود دفع المستشار كرايسكى إلى إغلاق معسكر «شنو» ووقف استقبال يهود الاتحاد السوفيتى ونقلهم إلى إسرائيل.

وتدخل «دادو» وهو رئيس الأركان ديفيد إليعازر ليفرض على المجتمعين العودة إلى الموضوع الرئيسى فى جدول أعمال هذا الاجتماع.

قال إليعازر أن الموقف على الجبهتين المصرية والسورية لا يمثل خطورة. ومن المستبعد وقوع هجوم مصرى - سورى مشترك. لقد قام السوريون بحشد قوات إضافية على الجبهة منذ المعركة الجوية التى سقطت فيها ١٢ طائرة لكنهم لم يتمكنوا من القيام بهجوم منفرد. أما الجبهة المصرية فتشهد حلقة من حلقات تحركاتها المستمرة طوال العام وهى تقوم بمناوراتها السنوية

التى تشمل نقل قوات مختلفة من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب إلى الشرق.. وبالعكس.

ولا نوصى بالموافقة على استدعاء قوات الاحتياط.

وتحدثت جولدا مائير عن تجاربها السابقة مع المصريين. قالت إنها لا تريد أن تكرر تجربة شهر مايو الماضى. لقد سجلنا يومها تحركات مصرية واسعة، وتم رصد العديد من معدات العبور والكبارى المحمولة وهى تنقل من العمق إلي الجبهة المصرية. وتلقينا معلومات وثيقة عن تحرك معدات العبور على الطريق القريب من مطار القاهرة فى اتجاه السويس. وشاهدها أحد الملحقين العسكريين فى القاهرة من أصدقائنا. ويومها قالت أجهزة مخابراتنا أن الحرب لن تندلع من جديد وأن المصريين غير قادرين على عبور القناة لا الآن ولا مستقبلاً. ورغم ذلك فقد قررنا يومها أن نأخذ الأمر بجدية. وانتقلت بنفسى ومعى عدد من الوزراء ومعنا حاييم بارليف وزير الصناعة إلى المركز الرئيسى للمخابرات العسكرية؛ لنناقش تفاصيل الموقف ونعد للتعبئة. ولكن شيئاً لم يحدث. وما نراه الآن على الجبهة المصرية أقل مما تم رصده فى مايو الماضى. وما دام أحد لم يطلب التعبئة فإننى أيضاً لن أفكر فيها.

وسيعقد مجلس الوزراء الإسرائيلى اجتماعه المعتاد بعد ثلاثة أيام يوم الأحد ٧ أكتوبر عقب إجازة العيد وسنواصل يومها بحث الموقف بكل أبعاده وتطوراته اللاحقة.

وبينما كان المجتمعون يغادرون مكتب رئيسة وزراء إسرائيل

كانت أحداث اليوم (ى - ٣) تتلاحق داخل مراكز القيادة والسيطرة على الجبهة المصرية مع اتمام الحشد على محاور الجيشين الميدانيين الثانى والثالث.

واستكملت وحدات المهندسين استعداداتها لفتح ٧٠ ثغرة فى الساتر الترابى بحجم ١٥٠٠ متر مكعب لكل ثغرة وإنشاء ١٠ كبارى ثقيلة لعبور الدبابات والمدفعية الثقيلة و٥ كبارى خفيفة تماثل تماماً فى شكلها الكبارى الثقيلة ولكن الهدف منها جذب نيران العدو وخداعه وصرف انتباهه عن مناطق العبور الرئيسية بالإضافة إلى ١٠ كبارى اقتحام لعبور المشاه صنعتها إدارة المهمات المصرية. كما تم تجهيز ٧٢٠ قارباً مطاطياً للمشاه مع ٣٥ معدية عبور. وأصبح من المتوقع الانتهاء من فتح الثغرات وتشغيل المعديات الساعة (س + ٥) قد تتأخر فى بعض المواقع بفعل نيران العدو لتصل إلى (س + ٧) أى الساعة التاسعة مساء السبت ٦ أكتوبر.

وفى ذلك اليوم - يوم الأربعاء ٣ أكتوبر ١٩٧٣- وهو اليوم (ى - ٣) هبطت طائرة عسكرية في إحدى القواعد الجوية السورية قرب دمشق وكان عدد ركابها اثنين فقط هما الفريق أحمد إسماعيل وزير الحربية المصرى واللواء بهى الدين نوفل رئيس أركان القيادة المصرية - السورية الاتحادية. ونقلتهما سيارة مرسيدس تحمل أرقاماً مدنية (خصوصى) إلى الاستراحة القريبة من المطار ليكون فى انتظارهما وزير الدفاع السورى اللواء مصطفى طلاس.

وسر هذا الاجتماع يرجع إلى رغبة القيادة السورية تأخير اليوم (ى) لمدة ٤٨ ساعة لاستكمال الحشد وتهيئة الجبهة الداخلية للحرب، والانتهاء من تفريغ صهاريج البترول فى مصفاة التكرير بمدينة حمص. لكن المناقشة أسفرت عن بقاء اليوم (ى) هو السبت السادس من أكتوبر باعتباره أنسب الأيام لتحقيق المفاجأة واستغلال إجازة يوم الغفران (عيد كيبور) عند اليهود، بالإضافةِ إلى أن الحرب كانت قد بدأت فعلاً بالنسبة لبعض الوحدات المصرية ، ومنها الغواصات والقطع البحرية التى غادرت قواعدها مع فرض الصمت اللاسلكى عليها واستحالة الاتصال بها.

وعاد وزير الحربية المصرى إلى القاهرة ليجد مفاجأة في انتظاره. لقد تبين أن شركة «مصر للطيران» قامت بإلغاء رحلاتها الجوية وبدأت في تنفيذ إخلاء طائراتها من مطار القاهرة كما أصدرت تعليمات لطائراتها فى الخارج بالبقاء حيث هى وعدم القيام برحلاتها المقررة إلى القاهرة.

ويرجع هذا التصرف إلى سوء فهم للتعليمات التى وجهها الرئيس السادات لعدد من الوزراء ـ بينهم وزير الطيران المدنى ـ بشأن الاستعداد لأى احتمالات مفاجئة قد تقع بين لحظة وأخرى. وقد لاحظ وزير الطيران تصاعد حالة الاستعداد وتوقع باجتهاده الشخصى أن تقوم إسرائيل بضربة مفاجئة وقائية على غرار ما حدث عام ٦٧ واستصوب حماية طائراته من التدمير.

وفى اتصال عاجل بين وزير الحربية ووزير الطيران المدنى

تم تدارك المـوقف وإلغاء تعليـمات وزير الطيـران وعادت حـركة الطائرات إلى حالتها الطبيعـية بعد خمس ساعات من التوقف الذى أربك حركة المسافرين وحشد الركاب فى قاعات الانتظار.

ولم يكـن لذلك أى انعكـاس أو رد فـعل فى إسـرائيـل التى لم يتغير الموقف فى تصورها عما كان في اجتماع رئيسة الوزراء واستـمرت حالة التـرقب المعتـادة حتى اختلف الأمـر في اليوم التالى.

وبينما كـان العسكريون يضعـون اللمسات الأخـيرة فى خطة الخداع والتمويه كان الرئيس السـادات يضع اللمسات الأخيرة فى الخطة السياسيـة. واستقبل يومها مستـشار الأمن القومى حافظ إسمـاعيل الذى أطلعه على مـسودات البـيان الذى سـيلقى باسم مصر فى مـجلس الأمن عند انعقاده المتوقع بعـد نشوب الحرب، وكذلك التعليمـات التى سيتم إبلاغها إلى وزير الخارجـية الدكتور محمـد حسن الزيات الموجود فى نيـويورك، والذى لم يعرف بعد شيئاً عن الحرب التى توشك أن تقع.

وتم تجهيز قـصر الطاهرة ليكون مقراً للقيادة السـياسية أثناء الحرب.. وبدأ الرئيس السادات يستعد للانتقال إليه. وأخر الرئيس السادات انـتقاله إلي هـناك عندما تلقى طلبـاً عاجـلاً من السفـير السوفييـتى فى القاهرة يطلب مقابلته. وتمت المقـابلة فى السابعة مـساءً. وقـدم خلالهـا السفـير رسـالة من الرئيس السوفـييـتى برجينيف يطلب فـيها سحب المـستشارين المدنيـين وأسرهـم من مصر. وكان ذلك موضـع اسـتياء الرئيس السادات لكنه لم يستطع رفضـه.

وفي اليوم التالى وصلت بالفعل ست طائرات سوفييتية «طراز اليوشن» لتنقل المستشارين وأسرهم إلى بلادهم. وتكرر ذلك فى سوريا.. وعرف به العدو الإسرائيلى واستطاع أن يكسر بواسطته حلقات الخداع مستشعراً الخطر بصورة جدية.. ولأول مرة عندما كان المستـشارون السوفييت وأسرهم يتـجهون إلي المطار، كان الرئيس السادات يتجـه إلى قصر الطاهرة ليخلع ملابسـه المدنية ويرتدى الزى العـسكري للـقائـد الأعلى للقـوات المـسلحـة. لكنه لم ينتقل إلى المركز الرئيسى للقيادة إلا ظهر اليوم (ى) السادس من أكتوبر وهو المركز المـعروف باسم «الموقع رقم ١٠» غير أن جميع القـادة العسكريين كانوا بالفعل يقيـمون داخل الموقع رقم (١٠) ما عدا وزير الحربية. ومن داخل الموقع (١٠) تمت مراجعة خطة أولويات العـبور طبـقاً لـلأسبـقيـات المقـررة. وبدأ مع يوم الجمـعة ٥ أكتـوبر (ى ـ ١) وضـع العلامات والأرقـام الإرشادية على النقاط المقررة للعبور والتى ستتم إضاءتها بالأضواء الملونة مساء السبت بعد آخر ضوء لليوم (ى).

ومع هذه المـرحلة بدأ العـدو يفـهم مـايجـرى على الجـبـهـة المصرية وبدأت آثار الخداع تزول تدريجـياً.. لكنه لم يتوقع ساعة الحرب وبقيت الساعة (س) لغزاً بالنسبة له.

كانت أولويات العبـور تقضى بتقسيم وحدات المـشاة المكلفة بالعـبور إلى مـجمـوعـتين. المـجمـوعـة الأولى : هى مجـموعـة المترجلين الذين يقتحمـون القناة فى قوارب مطاطية ثم يتحركون على أرجلهم وبسـلالم من الحبال لـيصلوا إلى الضفـة الشرقـية.

والمجمـوعة الثانية : تضم الوحدات والأطقم ذات الأسلحـة الثقيلة التى تنتظر على الضفة الغربيـة إلى أن يتم فتح الممرات فى السد الترابى وتشغـيل المعديات والكبارى. ويتم العبور فـوق المعديات والكبارى طبقاً لأهمية كل مركبة وحاجة المشاة إليها وعلى أساس أسبقـيات ست أولاها الدبابات وعربات القتـال وعربات اللاسلكى والهاونات الثقيلة وبعض عربات نقل الذخيرة. أما الأسبقية التالية فتشمل وحـدات المدفعية ووحدات الدفـاع الجوى وعدداً آخر من عـربات نقل الذخـيرة . ويـلى ذلك قوات الأسـبقـية الثـالثـة من العناصــر الإدارية لكتائب المـشـاه وكتـائب المدفـعيـة المضـادة للطائرات . والأســبقيـة الرابعة تتكون من الوحـدات الإدارية على مستوى الألوية . وتأتى الوحدات الإدارية على مستوى الفرقة فى الأسبقية الخامسة .

أما الأســبقيـة السادسة الأخيـرة فتضم العـربات المخصـصة لركوب أفراد المشــاه الذين عبروا بالقوارب ويتم تحركـها للعبور مع بداية اليـوم الثـالـث في السـاعـة (س + ٤٥) وكل منهـا فى التوقيت المعين لها وبالترتيب المحدد.

وهذا الحجم من القوات لم يكن ليخطر ببال القيادة الإسرائيلية وإنما ظل يشكل مفاجأة كاملة لهـا حتى بعد أن شعرت بما يجرى وبدأت تستعد له وتتحرك لمواجهته.

كانت رئيسة الوزراء جـولدا مائير تستعد لمغادرة مكتـبها بعد ظهر الجمـعة ٥ أكتوبر بعد أن قـررت قضاء إجازة العـيد بمنزلها فى «برامات أفيف» لتـعود إلى القدس صباح الأحد حيـث سينعقد

الاجتمـاع المقرر لمجلس الوزراء الإسرائيلى. لكـنها تلقت تقريرا عـاجلاً شـعرت مـعه بكثـير من الخـوف. كان التـقرير يقـول إن طائرات ركاب سـوفيـتيـة من طراز اليوشن وصلـت إلى دمشق وإنها تقف فى انتظار عائلات الخبراء السوفييت فى سوريا لنقلهم إلى موسكو، وأن أفراد العائلات السوفييتـية قاموا بحزم أمتعتهم على عجل إستعداداً للرحيل.

وأجرت جـولدا مائير ثلاثة اتصـالات تليفـونية بوزير دفاعـها موشى ديان وبرئيس الأركـان ديفيد إلـيعازر - الذى تلقـبه باسم دادو - وبمدير الاستخبارات إلى زئيرا. وكان سؤالها إلى كل منهم يدور حـول مـدلول هذا التـقـرير. لكن أحـدا منهم لم يجـزم بأن هـجوماً سورياً يمكن أن يقع على الفـور، وأن ترحيل أسر الخبراء السوفييت يمكن أن يسبق أية عـمليات عسكرية بأيام أو بأسابيع. واستبعد إليعازر قيـام سوريا بعمل عسكرى منفرد وأكد أيضاً أن ما يجرى على الجبهة المـصرية هو تكرار لما سبق وما تكرر على مدى شـهور طويلة كان آخرها شـهر مايو الماضي.

ورغم ذلك اتفقوا جمـيعاً على عقد اجتمـاع فى المساء وتأجيل برامجهم السابقـة المعدة ليوم كيبـور. وقررت رئيسة الوزراء أن يكون الاجتمـاع موسعاً وأن يحضـره كل الوزراء الموجودين فى تل أبيب.

واكتمـل الاجتماع فى السـابعة والنصف مساءً بمكتب رئـيسة الوزراء فى تل أبيب، وشهـده أعضاء الوزارة الإسرائيليـة ومعهم الجنـرال إليـــعــازر رئيـس الأركــان والجنرال زئـيـــرا مـــدير الاستخبارات.

وبدأت جولدا مائير رئيسة الوزراء الحديث قائلة:

إننى أشعر بالضيق وأستشعر خطراً ينبع من مصدرين أولهما: ما يتـردد الآن فى أجهزة الإعـلام والصحف العربيـة حول رفض إسـرائيل للسلام الذى يتطلـع إليه العـرب وتصويرنا فى صـورة الذى يستعـد للحرب من جديد. والمصدر الثـانى: هو خروج أسر الخبراء السوفييت من سوريا على وجه الاستعجال.

إن ذلك سبق أن وقع فى الماضى ويذكـرنى بما حدث فى مايو ١٩٦٧ عندما اتهمـنا العرب بأننا نحشد قواتـنا ضد سوريا. وهذا ما تقوله الصحافة العربيـة الآن. ويومها قرر العرب توجيه ضربة عسـكرية إلينا لولا أن تحركنا في عـملية وقـائية حـققت النـصر لإسرائيل.

وتولى الرد حاييم بارليف وزير الـصناعة والخبيـر العسكرى المـتخـصص فى شـئون الـدفاع وصـاحب فكرة الخط الدفـاعى الحصين شـرق القناة المعروف باسمـه. قال بارليف: إن الأمر لن يستوجب توجيـه ضربة وقائية ولا استدعـاء الاحتياط الآن. لكن ذلك لا يمنع من إلغاء الإجـازات ورفع حالة الاستعـداد خاصة في أجهزة الدفاع الجوى مع بقاء الاتصال المـستمر قائماً بين رئيسة الوزراء ووزير الدفـاع مـوشى ديان. واقـتـرح الوزير جـاليلى الاتصال بواشنطن قـبل بدء إجازة نهاية الأسبـوع ـ غداً السبت ـ ومطالبتهم بالاتصال بالسوفييت وبالتـأكيد على أهمية بقاء الهدوء فى الشرق الأوسط.

وانفض الاجتماع بعد إرسال بلاغات تحذير إلي وحدات الدفاع

الجوى الإسرائيلى ورفع حالة الاستعداد وإلغاء الإجازات دون أى تفكير في استدعاء قوات الاحتياط.

ولم يعـد أمام إسـرائيل فرصـــة لتـداول الموقف أو مــجابهـة الخديعة التى وقعت ضــحية لها. فقد بدأ العـيد، وتوقفت الإذاعات والتليفزيون عن البث وتوقفت معها كل وســائل استدعاء الاحتياط بالطرق العلنية. وساد الجمود كل جوانب الحياة فى إسرائيل ليظل القلق محصوراً بين رئيسة الوزراء ووزير الدفـاع طبقاً لما استقر عليه الرأى فى الاجتماع الليلى من مساء الجمعة.

ولم تستطع رئيـسة الوزراء أن تحضـر عشاء ليلة العـيد التى أعدها ابنهـا «ميناحيم» وابنتـها «وايا» لأصدقـائهما وهو العـشاء الذى يسبق صـيام يوم الغفران ـ كـيبور ـ واتجهت مـباشرة إلي مخدعها فى محاولة للتغلب على الأرق.

وبعد لحظة طلبت مـائير من سكرتيرها العـسكرى «أليور» أن يستدعى كلا من جاليلى وألون ودادو وديان للاجتماع فى مكتبها قبل الساعة السابعة صباحاً.

وكان ديان مستيقظاً فقـد تلقى نفس المعلومات قبل أن تتلقاها رئيسة الوزراء. لقد دق جرس التليفون الأحمر بجوار سريره قبل الرابعة فـجراً بدقيقـة أو دقيقتـين.. وقال محدثه بوضــوح كلمات قاطعة:

«مصر وسوريا سـتدخلان الحرب ضدنا قبل الـغروب. الخبر مؤكـد من مصدر رفيع المـستوى طلب أن يبلغـه بنفسه لرئيـسة الوزراء».

وقفز وزير دفاع إسرائيل من سريره ليرتدى زيه العسكرى بسرعة ويتجه إلى مكتبه فى وزارة الدفاع. وقبل أن يغادر بيته طلب رئيس الأركان الجنرال ديفيد إليعازر ليلحق به فى وزارة الدفاع.

وكان «أليور» سكرتير رئيسة الوزراء العسكرى قد أبلغه بموعد اجتماعهم مع مائير. وفى مكتب ديان اقتصر الاجتماع عليه وعلى رئيس الأركان إليعازر وتطرق إلى أربع نقاط:

(١) استدعاء الاحتياط وتعزيز الجبهات.

(٢) توجيه ضربات جوية فى هجوم وقائى.

(٣) إجلاء النساء والأطفال من المستعمرات الحدودية فى الجولان.

(٤) توجيه إنذار إلى مصر وسوريا لدفعهما إلى التراجع والظهور أمام العالم بأن مسئولية الحرب لا تقع على إسرائيل.

وطلب رئيس الأركان موافقة رئيسة الوزراء على استدعاء الاحتياط وتوجيه هجوم وقائى على الجبهتين. ولم يكن هناك اعتراض على استدعاء الاحتياط لكن الضربة الوقائية كانت موضع البحث فى الاجتماع التالى الذى تم عقده بعد ساعة واحد في بيت رئيسة الوزراء والذى عرف باسم اجتماع المطبخ.

واكتمل الاجتماع فى مطبخ بيت جولدا مائير فى الثامنة صباحاً. وتحدثت مائير عن المعلومات التى أبلغها «الصديق الأردنى قائلة : انها معلومات دقيقة لا تستند إلى تحركات

عسكرية معينة ولكنها تستند إلى معلومات عن القرار العربى بدخول الحرب.

وأشار ديان إلى ان هذه المعلومات قد سبق ان جاءت من قبل، وبالذات فى شهر مايو السابق وتم استدعاء الاحتياط بكل ما يترتب عليه من تبعات وتكاليف باهظة دون جدوى. وربما تعمد أحد تسريب هذه المعلومات بعد ان وجد رد الفعل لدى اسرائيل لا يتناسب مع التحركات الجارية فى سوريا ووجود معدات عبور تصاحب كل الوحدات المصرية المشاركة الآن فى المناورات التدريبية.

لكن المجتمعين لم يترددوا فى أخذ الأمر بكل جدية. واتفق الجميع على حتمية استدعاء الاحتياط وفتح قنوات الاتصال مع أمريكا، واجلاء النساء والأطفال من المستعمرات الاسرائيلية على الحدود السورية.

أما عن توجيه ضربة وقائية فقد تم الاتفاق على تأجيلها مع الإعداد لها بحيث تتم على الجبهة السورية فقط وتوجه إلى قواعدها الجوية الداخلية ونظام دفاعها الجوى الصاروخى وليس على منطقة الجبهة.

وصدرت الأوامر باستدعاء قوات الاحتياط بالطرق التقليدية وليس بالوسائل العلنية نتيجة توقف الاذاعات والتليفزيون خاصة انه لن يجرى تشغيلهما يوم العيد لأن أحدا لن يستمع إليهما لان الناس فى اسرائيل تعرف انهما لا يعملان فى يوم كيبور.

وقدر رئيس الأركان القوات التى سيتم انضمامها إلى القوات

العاملة بين ١٠٠ ألف أو ١٢٠ ألف مقاتل يمكن حشدهم بعد ساعات من بدء الهجوم العربى المقرر موعده قبل غروب شمس ٦ أكتوبر. وقال إن الطيران الاسرائيلى يستطيع ان يبدأ بضربة مباشرة فى المساء حتى لو تراجع العرب عن هجومهم. لكن مائير لم توافق على الضربة الجوية ووافقت على الإعداد لها حتى تتكشف الأمور بوضوح أكثر. وطلبت وزير خارجيتها أبا ايبان فى نيويورك حيث كان يحضر اجتماعات الأمم المتحدة ويقيم فى فندق «والدورف استوريا».

كما استدعت سفير اسرائيل فى واشنطن - سمحا دنيتز - الذى كان يقضى العيد فى إسرائيل وطلبت منه السفر إلى واشنطن على الفور.

كما طلبت السفير الأمريكى فى تل أبيب - كينيث كيتنج - ليجتمع معها فى أسرع وقت.

قالت مائير للسفير الأمريكى : إن الهجوم سيكون فى المساء من الجبهتين المصرية والسورية وهذا ما تؤكده معلومات المخابرات وتحليل المعلومات الخاصة بالتحركات السورية والمصرية. ولذلك فإن اسرائيل لن تبدأ بالهجوم فقد يتراجع السادات كما فعل من قبل وقد تتدخل واشنطن ومعها السوفييت. وطلبت من السفير الأمريكى ابلاغ ذلك إلى وزير خارجيته هنرى كيسنجر وإلى الرئيس الأمريكى الذى يستطيع أن ينقل ذلك إلى السوفييت عبر خط التليفون الساخن مع موسكو.

وعندما توجه السفير الأمريكى إلى مكتبه للاتصال بواشنطن

كانت الساعة تقترب من الثـانية عشرة ظهر يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣. وكان السؤال الذى يتكرر بصور مختلفة داخل الموقع (١٠) الذى يسيطر على حركـة الحرب فى الجـبهة الـمصرية هـو: هل عرف الاسرائيليون؟ ومتى عرفوا؟

كان قـد تم رصد طائرتى اسـتطلاع اسرائيلـيتين بالـقرب من قناة السـويس فى الساعة الـتاسعـة والنصف صبـاحاً. لم تعـبر الطائرتان إلى غرب القناة ، لكن تجهيزاتهـما تتيح لهما الاستطلاع والتصوير من فوق سـيناء. ولابد أن تكون اسرائيل قد تأكدت من وجود الجسور ومعدات العبور قرب شواطىء القناة.

لكن الاسـتطلاع الاسـرائيلى رصد أيـضاً الجنود الـمصـريين يلعـبون الكرة على حـافة القناة ، بينمـا يسبح بعـضهم فى مـياه القناة نفسـها.

ولم ترصـد طائرتا الاستطلاع هـذا العدد الكبـير من مكبـرات الصوت المـتنقلة التى بدأ توزيعـها على الوحـدات دون أن يعرف أحد أنها مخصصة، لترديد صيحة «الله أكبر» من خلالها مع أولى موجات العبور.

كـمـا لم ترصـد طائرات الاسـتطلاع وصـول وزير الحـربيـة المصرى الفريق أول أحمد إسماعيل إلى قصر الطاهرة، ليصطحب من هناك الرئيس أنور السادات فى زيه العسكرى لينضما معاً إلى الرجال فى المركز رقم (١٠).

وفى الساعة الواحدة بعد الظهـر كانت الساعة (س ـ ١) عندما

وصل الرئيس السادات والفريق أحمد إسماعيل إلى المركز رقم (١٠) لتُغلق أبوابه الحديدية ويمنع تماماً الدخول إليه أو الخروج منه.

ويتم ضبط جميع الساعات لأقرب ثانية. وترفع جميع خرائط المناورات التدريبية «تحرير ٢٣» لتحل محلها خرائط العملية الهجومية «بدر» وتتوالى الاشارات إلى قيادات الجيش الثانى الميدانى والجيش الثالث الميدانى بانجاز المهام القتالية اعتباراً من الساعة ١٤٠٥ وهى ساعة الصفر (س) من يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ (ى).

وتصدر التعليمات للدكتور محمد عبدالقادر حاتم وزير الاعلام بتنفيذ الشق الإعلامى للخطة الهجومية طبقاً للمتفق عليه، واعتباراً من (س ـ ٣٥ق) وهنا تقطع الإذاعة المصرية برامجها في الساعة ١٣٣٠ الواحدة والنصف بعد الظهر لتذيع الخبر التالى:

«جاءنا الآن أن عناصر من القوات الاسرائيلية المسلحة هاجمت مواقعنا فى الزعفرانة، وهذا الهجوم يمثل خرقاً خطيراً لوقف إطلاق النار. وقد تم إبلاغ مجلس الأمن الدولى بهذا العدوان».

وبعد إذاعة هذا النبأ استأنفت اذاعة القاهرة برامجها العادية لتقطعها مرة أخرى فى الساعة الثانية بعد الظهر وتذيع المارشات العسكرية. وعندما بدأت إذاعة القاهرة فى بث الموسيقى العسكرية كانت الأوامر تخرج من المركز رقم (١٠) إلى جميع القواعد الجوية حيث الطائرات على أتم استعداد لتوجيه الضربة

الجـوية المفـاجئـة والمؤثرة إلى جـميع مطارات العـدو ومراكـز قياداته ومناطق حشد مدفعيته فى سيناء.

وعلى ارتفاعـات منخفـضة جدا عـبرت ٢١٠ طائرات مـصرية القناة في وقت واحد لتطلق قذائفها ونيرانها على الأهداف المعادية فى تمام السـاعة ١٤٠٥ ولتنطلق فى نفس اللـحظة قذائف ٢٠٥٠ مدفـعاً مصـرياً نحو أهدافهـا فى سيناء.. ويسبح فى مـياه القناة أفراد الصـاعقـة والمهندسـين والضفادع مـتجـهين إلى مـخارج مواسيـر السوائل المشتعلة للتـأكد من إغلاقها وعدم قـيام العدو بإصلاح شىء منها..

وفى تلك اللحظة كان الاسرائيليون يستعدون لمواجهة الهجوم المتوقع فى السادسة مساءً عندما انطلقت صفارات الانذار فى كل أنحاء اسرائيل، وتم اسـتدعاء القادة العسكريـين إلى نقطة القيادة الاسرائيلية المعروفة باسم «كدم» والشهيرة باسم «الحفرة» تحت سطح الأرض فى مركز مجموعة العمليات.

وهناك كـان فى انتظار الجـمـيع البـيـان الأول الذى يؤكـد أن المصـريين عبـروا قناة السويس بطول خـط المواجهـة كله تحت ستار نيران أكـثر من ٢٠٠٠ مدفع، تسبقهـا ضربات مركزة على مراكـز السـيطرة والقيـادة والمطارات قامت بهـا أكثـر من ٢٠٠ طائرة مـصـرية وان العلم المـصـرى يرفرف الآن فـوق النقـاط الحصينة لخط بارليف شرق القناة..

وكانت هذه هى البداية..

"Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)"

رقم الإيداع ١٣١٦١/٩٨
الترقيم الدولى
I. S. B. N.
977 - 08 - 0777 - X




استمتع بالسفر بأحدث طائراتنا
أكثر من ٤٠٠ رحلة اسبوعيا إلى
٩٤ مدينة عالمية ومحلية

هذا الكتاب

هذا الكتاب يشرح لنا . ولأول مرة . كيف استطاعت مصر أن تخدع قادة إسرائيل العسكريين وزعماء أحزابهم السياسية .. وأن تجعلهم مطمئنين أن مصر ليس لديها أية نية على الحرب عام ١٩٧٣ .. وأن تجعلهم « كالمسحورين » يشاهدون كل التحركات العسكرية المصرية على الجبهة ومعهم معدات عبور القناة وفى أيديهم الصواريخ .. ويرصدون استدعاء قوات الاحتياط المصرية .. ومع كل ذلك .. لا يقدرون حقيقة الموقف العسكرى المصرى .. !!

وقد استطاع الزميل صلاح قبضايا الذى كان فى ذلك الوقت المراسل العسكرى لأخبار اليوم أن يحصل على الخطة الكاملة صاحبة الفضل فى جعل قادة إسرائيل سواء العسكريين أو الزعماء السياسيين كالمسحورين لا يفهمون حقيقة ما يجرى أمام عيونهم وآذانهم .. !! وقد أطلق عليها خطة الخداع والتمويه أمر بها الرئيس السادات وقام بوضعها مجموعة قليلة من رجال القوات المسلحة عددهم ٧ فقط يتميزون بقدرات ذهنية وفكرية خاصة ونظرة شاملة للأمور .

وهذه الخطة تحوى أسراراً مثيرة .. وحكايات مشوقة .. تنشر لأول مرة وتكشف كيف استطاعت مصر ببراعة وذكاء أن تخدع ليس إسرائيل وحدها .. ! بل جميع أجهزة مخابرات العالم .. مما يمكن أن نطلق على معركة أكتوبر ١٩٧٣ « المعركة المفاجأة » فلم تتأكد إسرائيل بالهجوم المصرى إلا بعد أن عبر رجالنا القناة وتمركزوا على الضفة الشرقية !

نبيل أباظة

الثمن ٥ جنيهات

طبع بمطابع أخبار اليوم